

رَحْلَةُ مُحَدِّثِي بِلَاد مَا وَرَاء النهر الإسلامية إلى مكة المكرمة خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة

The Journey of the Muhaddiths of the Islamic Transoxiana to Makkah Al-Mukarramah during the first four centuries of the Hijrah

محمود محمد السيد خلف¹

تاريخ النشر: 2021/12/02

تاريخ القبول: 2021/08/16

تاريخ الإرسال: 2021/07/31

ملخص:

يتناول البحث رحلة المحدِّثين العلمية من بلاد ما وراء النهر الإسلامية إلى مكة المكرمة خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة. فألقيت الضوء على الموقع الجغرافي لبلاد ما وراء النهر والفتح الإسلامي لها. وتحدثت عن أهم الطرق التي سلكها المحدِّثون من بلاد ما وراء النهر للوصول إلى مكة المكرمة. ثم ألقيت الضوء على أشهر المحدِّثين الذين رحلوا من تلك البلاد الزاهرة إلى مكة المكرمة العامرة؛ فعرفت بهم وبشييوخهم وتلامذتهم ومُصنِّفاتهم. وكان من أهم نتائج البحث: إن رحلة مُحَدِّثِي بِلَاد مَا وَرَاء النهر إلى مكة المكرمة كانت رحلة مباركة؛ فقد أثرت الحياة العلمية في هذا الإقليم الإسلامي؛ ووصلت بالإسلام إلى حدود الإمبراطورية الصينية شرقاً والسهوب الروسية شمالاً.

الكلمات المفتاحية: المحدِّثون؛ بلاد ما وراء النهر؛ مكة المكرمة.

Abstract :

The research deals with the scientific journey of the mohaddiths from the Islamic Transoxiana to Mecca during the first four centuries of the Hijrah. I shed light on the geographical location of the country beyond the river and the Islamic conquest of it. I spoke about the most important routes that hadith scholars took from beyond the river to reach Mecca. Then I shed light on the most famous hadith scholars who traveled from those prosperous lands to the inhabited Mecca. I got to know them, their sheikhs, their students and their works. One of the most important results of the research was: The journey of the narrators of the country beyond the river to Mecca al-Mukarramah was a blessed journey; It influenced the scientific life in this Islamic region; With Islam, it reached the borders of the Chinese Empire in the east and the Russian steppes in the north.

Keywords: the mohaddiths; the Islamic Transoxiana; Mecca

مقدمة

إن من أهم ما يميز طلاب العلم في الإسلام، رحلتهم العلمية من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر في سبيل طلب العلم، غير مبالين ما يعترضهم من مشقة وفقر، مع ما في السفر إذ ذاك من صعاب.

وكان المجتهدون - والحق يقال - أنشط الناس لرحيل، وأصبرهم على عناء. وكما رحل علماء اللغة إلى البادية يقيدون اللغة والأدب، ورحل الأدباء إلى نواحي الدولة الإسلامية يأخذون عن أدبائها، ورحل طلاب الفلسفة إلى القسطنطينية وغيرها في طلب كتب العلم، كذلك كان شأن المجتهدين الذين رحلوا للأخذ عن شيوخهم، وكان باعثهم الديني يذل كل عقبة، ويسهل كل مشقة.

والواقع أن مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ قد شهدت نشاطاً علمياً بارزاً، نهض به علماء مَكِّيُّون، وصارت مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ مركزاً لاجتذاب العلماء والطلاب من جميع أقطار العالم الإسلامي، من بلاد المغرب والأندلس تارة، ومن بلاد المشرق الإسلامي - ويأتي في مقدمتها بِلَاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ - تارة أخرى.

والمقصود بِبِلَاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ : تلكم المناطق الخصبة السهلة الواقعة بين نخري سَيْحُون - سِرِّ دَرِيَا حَالِيَا - وَجَيْحُون - أُمُو دَرِيَا حَالِيَا - اللذين يصبان في بحيرة خُوزَرْم - بحر أورال حاليًا، والشاطئ الأيسر لنهر سَيْحُون؛ ويشتمل: طَخَارِسْتَان والحُتْل - وهذه البلاد أطلق عليها المسلمون قديمًا بِلَاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وتعرف حاليًا بدول آسيا الوسطى (وهي: كازاخستان، أوزبكستان، قيرغيزستان، طاجيكستان، تركمانستان)، وإن كانت جمهورية أوزبكستان المستقلة عن الاتحاد السوفيتي - السابق - في الثامن من ديسمبر [1412هـ / 1991م] تشغل الحيز الأكبر منها.

ومن الجدير بالذكر، أن هذه البلاد قد فتحها القائد المظفر قتيبة بن مسلم الباهلي [46-96هـ / 669 - 715م] في خلافة الوليد بن عبد الملك [86 - 96هـ / 705 - 715م]، ونجحت الدولة الأموية في نشر الإسلام بين سكانها. كما نجحت الدولة العباسية في تعميق انتشار الإسلام في هذه البلاد حتى أخذت طابعًا إسلاميًا واضحًا خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وأصبحت بِلَاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ جزءًا من كيان الدولة الإسلامية.

وترجع أهمية هذه الدراسة لعدة اعتبارات مهمة، وهي:

أولاً: إن في الرحلة فائدة علمية كبيرة للعالم ولطالب العلم. أما العالم فيزداد علمًا إلى علمه وينشر علمه بين الناس، وأما بالنسبة لطالب العلم فإنه يزداد ثقافة ومعرفة وكثرة في منابع الثقافة والحضارة. هذا، وقد كانت الرحلة العلمية معروفة لدى المسلمين الأوائل منذ فجر الإسلام ثم في عهد الصحابة (ص) حيث كانوا يرحلون المسافات الواسعة لزيادة العلم والمعرفة. وفي العهود التي تلت عهد الصحابة (ص) في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين وبعدهما، ازدادت الرحلة في طلب الحديث والسُنَن والأحكام الشرعية وسائر العلوم الدينية. وهكذا عَرَف سلفنا أهمية الرحلة فركبوا المركب الصعب وتحملوا قسوة الحياة حتى كان الواحد منهم يُعرف بنسبه إلى عدة بلاد، فيقال: البغدادي ثم المكي ثم الشامي. وذلك لأنه رحل إلى هذه البلاد وروى عن شيوخها.

ثانيًا: الرغبة في ربط الماضي بالحاضر، وتذكير الشعب الأوزبكي بتاريخه الإسلامي المجيد. وأنه جزء من العالم الإسلامي، فلا بد من الوصول إلى أقصى درجات التعاون معه. يقول العلامة ابن خلدون عن عروبة علماء ما وراء النهر: "فإن عرض لك ما تسمعه من أن سيبويه والفارسي والزمخشري وأمثالهم من فرسان الكلام [وسائر العلماء] كانوا أعجازًا مع حصول هذه الملكة لهم، فاعلم أن أولئك القوم الذين نسمع عنهم إنما كانوا عجمًا في نسبهم فقط، أما المرئي والنشأة فكانت بين أهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراءها" (علي عبد الواحد، 2006).

ثالثًا: إن كلا البلدين قد ازدهرت فيه الحياة العلمية. فإن كانت بلاد ما وراء النهر واثرة علوم إقليم خراسان، فإن مكة المكرمة هي واثرة علوم الإسلام. لذا كان من الطبيعي أن يجمع العلماء في رحلتهم بين البلدين. يقول العلامة ابن خلدون: "واختص العلم بالأمصار الموفورة الحضارة وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هناك من حضارة بالدولة التي فيها، فلهم بذلك حصّة من العلوم والصنائع لا تنكر (علي عبد الواحد، 2006).
المبحث الأول: كل الطرق تؤدي إلى مكة المكرمة

كثيرٌ ما يردد المؤرخون عبارة "كل الطرق تؤدي إلى روما"، ولكن الحقيقة التاريخية التي لا تدع مجالاً للشك، أن كل الطرق تؤدي إلى مكة المكرمة. فعندما تولى العباسيون الخلافة الإسلامية، أعطوا التجار حافزًا قويًا على مواصلة نشاطهم، ومن ثم قاموا بحفر الآبار، وإقامة المحاط التجارية في طرق القوافل، وأنشئوا المنائر في الثغور. وأصبحت قوافل المسلمين تجوب البلاد. ولم تكن العناية بهذه الأشياء فقط، بل وكلوا من يحرس هذه الطرق، ويقوم بتأمينها، كما أنشئوا الفنادق، والقياسر، والخانات والسبل، والربط، كل ذلك لخدمة التجار وطلاب العلم. (متز، د.ت) (ابراهيم، د.ت)
أولاً: الطرق البرية الداخلية في بلاد ما وراء النهر:

استعمل التجار وطلاب العلم في الطرق البرية الحيوانات في نقلهم، ومن أمثلتها: الخيل والبغال والحمير والجمال، وكانت تسير في نظام القوافل، وكان التجار وطلاب العلم يتبعون طرقًا تجارية رئيسة، وضعت عليها العلامات الإرشادية لمساعدة التجار وطلاب العلم على مواصلة سيرهم.

ومن حسن الحظ، أن المصادر الجغرافية (ابن خرداذبة، د.ت) (بن جعفر، د.ت) (الإصطخري، د.ت) (ابن حوقل، د.ت) (المقدسي، د.ت) (لسترنج، د.ت) الإسلامية قد أمدتنا بمادة غزيرة حول هذا الموضوع، ولكنها تبدو متناقضة أحيانًا، وطويلة في أحيانًا أخرى، لذا سوف أقصر الحديث على الطرق الرئيسية فقط، معرضًا عن ذكر المتناقضات، ومركزًا في نفس الوقت على الأقاليم الرئيسية التي تصل بلاد ما وراء النهر إلى مكة المكرمة.

فبعد عبور المسافرين لنهر جيحون يصبح بذلك في بلاد ما وراء النهر، وكان المعبر الرئيسي على نهر جيحون مما يلي آموية (آمل)، ثم إلى مدينة فربر، ومنها يسير الطريق إلى بيكنند، ثم يتجه إلى بخارى، ثم يسير الطريق بمحاذاة نهر الصغد حتى يصل سمرقند، ثم توجد شبكة من الطرق البرية التي تغطي هذا الإقليم بالكامل وتربط بين مدنه المختلفة.
ثانيًا: الطرق البرية الخارجية (الدولية):

وكم اهتم الخلفاء العباسيون بالطرق الداخلية، فقد اهتموا كذلك بالطرق الخارجية، والتي تُعرف بالطرق الدولية، والتي ساعدت على ربط مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ بمختلف دول العالم حينذاك. وبذلك أضحت هذه العاصمة المقدسة ملتقى طرق المواصلات العالمية.

ولا يلزمنا أن نذكر الطرق الرئيسة التي تصل إلى مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ شرقاً وغرباً (ابن خرداذبة، د.ت) (بن جعفر، د.ت) (الإصطخري، د.ت) (لسترنج، د.ت) وإنما أركز بوجه خاص على الطرق الشرقية التي تمر ببِلَاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ حتى تصل إلى مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ في هذا الوقت، والتي سلكها طلاب العلم للوصول إلى هدفهم. وكانت هناك ثلاثة طرق تربط بعضها ببعض؛ طرق فرعية بحيث كان من السهل المرور من طريق لآخر. وهذه الطرق باختصار هي (براونستون، د.ت) (هايد، د.ت):

- أ- طريق الشمال: يبدأ من الحدود الصينية، ويمر بصحراء جوبي ويصل إلى نهر سيحون، ومنها إلى الإمبراطورية البيزنطية، وهذا الطريق أقل الطرق خصوبة، وأكثرها وعورة.
- ب- الطريق الأوسط: يمتد من حدود الصين، ثم يمر بجبال تيان شان ثم يصل إلى مدينة كاشغر، ومنها يتجه إلى إقليمي فرغانة، وأشروسنة، ماراً ببِلَاد الصغد - بُخَارَى وَتَمْرُقَنْد - ومن هناك ينحرف صوب الجنوب الغربي حتى يصل إلى بلاد فارس. وكان هذا الطريق أكثر الطرق ثراء وخصوبة واستخداماً (اليقوي، د.ت).
- ت- الطريق الجنوبي: ويبدأ من الصحراء الشاسعة على الحدود الصينية، حتى مدينة يوغنك (يوغنك، د.ت) (السمعاني، د.ت) (ياقوت، د.ت)، ثم يجتاز هضبة البامير، ثم إقليم بدخشان وطخارستان، ثم يصل أخيراً إلى الهند (ابراهيم، د.ت).

وهكذا يتضح لنا من هذه الطرق الثلاث، أن التجارة التي تريد الوصول إلى أقصى شرق العالم الآسيوي، كان لابد لها من المرور على بِلَاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، ومن ثم فقد سهلت هذه الطرق على طلاب العلم الوصول إلى مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ.

ثالثاً: عالمية مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ:

بعد انتشار الفتوحات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها كان على سائر الأمم أن تُسلم بأن هذه الأمة الجديدة - أعنى أمة الإسلام - قد بلغت بالفعل درجة عالية من المدنية، وأنها قادرة على مزيد من التقدم والرقى. وأصبحت التجارة الإسلامية في ظل الدولة العباسية مظهرًا من مظاهر أبهة الإسلام، وصارت هي السيدة في بلادها، وكانت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب كل البحار والبلاد. وأخذت تجارة المسلمين المكانة الأولى في التجارة العالمية. وكانت الإسكندرية وبغداد، هما اللتان تقرران الأسعار للعالم - في ذلك العصر - في البضائع الكمالية على الأقل (ابراهيم، د.ت) (متز، د.ت).

وبخصوص بِلَاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، ونظرًا لموقعها الجغرافي، وكثرة منتجاتها، فقد لعبت دورًا كبيرًا في ربط بلاد الصين والهند شرقًا، وبلاد الروس والصقالبة والخزر شمالًا، بالخلافة العباسية في بغداد وصولاً إلى مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ.

فَمَكَّةُ الْمُكْرَمَةِ بلد الله الحرام؛ تَهْفُوا إِلَيْهَا قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُخْتَلَفِ بَقَاعِ الْأَرْضِ لِأَدَاءِ شَعَائِرِ الْحَجِّ. وكانت بلاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ - على الرغم من بُعد ديارهم - أول سابق إلى الحج، لا يدخل مكة أحد قبلهم، ولا يخرج منها أحد بعدهم، وذلك على قول الإصطخري (الإصطخري، د.ت). وقد صدق فيما قال؛ فما زال أهل هذه البلاد يتمتعون بالطاعة، وحسن العبادة لله - عز وجل -، على قول أحد الباحثين المعاصرين (عبد المؤمن، د.ت).

وعلى كل، فإن موسم الحج بالنسبة للمسلمين موسم عبادة، وتجارة في نفس الوقت، فقد أحل الله تعالى فيه البيع والشراء. قال تعالى: { وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ } (سورة الحج). قال ابن عباس (ت): "وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البُدن والذبائح والتجارات" (ابن كثير؛ الغزالي، د.ت).

كان من الطبيعي - إذًا - أن يأخذ أهل بلاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ في أثناء ذهابهم إلى مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ ما يلزم أهل هذه البلاد من منتجات مختلفة؛ مثل: المنسوجات، والديباج، والحريز، والمسك، وغيرها. ثم يعودون إلى بلادهم بكثير من المنتجات المختلفة من أسواق مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن كثير من طلاب العلم من بلاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ قد استغل وجود هذه الشبكة الضخمة من الطرق البرية الداخلية والخارجية، فكانوا يصحبون التجار والحجاج للوصول إلى مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ. فإذا تذكرنا أن العاصمة المقدسة كانت تموج بالحركة العلمية والتي بدأت في حياة الرسول (ﷺ) ثم أخذت في الاتساع بعده. وذلك بعد أن تفرق الصحابة في جميع أنحاء الدولة الإسلامية، وإن شئت فقل: وُزِعُوا على الأمصار قصدًا إلى تعليمها، فبدؤوا يعلمون الناس أصول دينهم. هؤلاء الصحابة العلماء الذين تفرقوا في الأمصار أنشئوا حركة علمية في كل مصر نزلوا فيه، وكونوا مدارس علمية، وكان لهم تلاميذ ينقلون عنهم العلم، فتخرج عليهم التابعون ثم تابعوهم (أحمد أمين، د.ت).

ويطول بي القول لو أحصيت جميع طلاب العلم الذين رحلوا من بلاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ونزلوا مَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ، فهذا يستحق أن يُفرد له كتابًا كاملاً، لذا سوف أقصر الحديث في هذا البحث على علم الحديث؛ وذلك لأن رجاله كانوا من أكثر الناس رحلة في طلب العلم.

المبحث الثاني: المُحَدِّثُونَ في العصر العباسي الأول:

عرّف العلماء علم الحديث بأنه: "كل ما ورد عن الرسول (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير" (ابن الملقن، د.ت). وبعد عصر الرسول (ﷺ) ضُمَّ إلى الحديث ما ورد عن الصحابة (رضي الله عنهم)، فهم الذين عاشوا الرسول (ﷺ) وسمعوا منه، وشاهدوا أعماله، ثم حدثوا بما رأوا وبما سمعوا. ثم جاء التابعون فعاشوا الصحابة وسمعوا منهم ورأوا ما فعلوا. فكان من الأخبار عن رسول الله (ﷺ) وأصحابه ما عرف باسم "الحديث" (العراقي، د.ت).

يبدأ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، والخلفية المأمون العباسي [198 - 218 هـ/ 813 - 833 م] هو خليفة المسلمين، وفي عهده كانت الحركة العلمية في العالم الإسلامي قد وصلت إلى أوج نشاطها وحيويتها بفضل ما أنفق على الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وبما وسعه البذل والعطاء للعلماء والشعراء (الدوري، د.ت). فكان من

الطبيعي أن يسع علماء الحرم المكي ما وسع المسلمون من العطايا، فاستمر المحدثون المكيون على سابق عهدهم من الجِد والنشاط في تعليم الحديث.

ومن أشهر المحدثين خلال تلك الفترة، الحكم بن محمد الطبري، أصله من بلدة آمل بطبرستان على حدود بلاد ما وراء النهر، رحل في طلب العلم إلى خراسان، ومرو، وبلاد الشام، ومنها إلى بغداد، ثم استقر بمكة المكرمة واتخذها وطناً. روى عن كبار مُحَدَّثِي الحرم المكي، ومن أمثال سفيان بن عيينة، وعبد المجيد بن أبي رواد، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وغيرهم. روى عنه البخاري في كتابه: "أفعال العباد"، وقال: "حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ، كَتَبْتُ عَنْهُ بِمَكَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ: أَذْرَكْتُ مَشَائِعَنَا مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، يَقُولُونَ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ» (البخاري، د.ت). روى عنه سلمة بن شبيب، ومحمد بن عمار بن الحارث الرازي، والنضر بن سلمة المروزي، وغيرهم (ابن حجر، د.ت) (الفاسي، د.ت)، مات بمكة المكرمة في سنة [213هـ/ 828م] ودفن في مقبرة المعلاة.

المبحث الثالث: المُحَدَّثُونَ فِي عَصْرِ الدَّوْلَةِ الطَّاهِرِيَّةِ [205 - 259 هـ/ 820 - 872 م]:

بزغ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ودولة الخلافة العباسية في أوج ازدهارها، مترامية الأطراف تتخذ من مرو- عاصمة إقليم خراسان- مركزاً تدير منه شؤون الخلافة، حيث كان المأمون يستقر هناك وبعد ست سنوات، وبالتحديد في عام [204هـ/ 819م] انتقل المأمون إلى بَغْدَاد- بعد قتل الأمين- وعهد بإدارة شؤون الإقليم إلى الوالي غسان بن عباد [201- 205هـ/ 819- 821م] والذي فشل في القضاء علي الثورات التي نشبت ضده، ولم يستطع أن يعيد الهدوء والاستقرار لهذه البلاد (محمد خلف، د.ت). لذا فقد رأى المأمون أن يعهد بإدارة شؤون هذا الإقليم لقائد كفء، مشهور بإخلاصه وولائه للمأمون؛ وهو طاهر بن الحسين، فَمَنْ هو طاهر؟ وما هي أسباب توليته حكم خراسان؟

ولد طاهر بن الحسين في مدينة بوشنج سنة [745/ 159م] أثناء حكم جده مصعب للمدينة ونشأ فيها، والتحق بخدمة العباسيين، شأنه في ذلك شأن أبيه وجده، واشتهر طاهر بالشجاعة والإقدام؛ واشترك في ثورة رافع بن الليث، وحقق نجاحاً كبيراً فيها ثم عهد إليه المأمون بإدارة الحرب ضد أخيه الأمين⁽²⁾. فاستطاع أن ينزل الضربات القاصمة بجيش الأمين، وأن يقتل قائده علي بن عيسى بن ماهان. ويقضي علي الأمين نفسه في سنة [198هـ/ 813م]، وأن يعيد الهدوء والسلام إلى مدينة السلام (بَغْدَاد) (طيفور، د.ت) (ابن الجوزي، المنتظم، د.ت) وأن يحقق العدل بين الرعية، وأن يقضي علي العبث والاضطراب الذي عم البلاد عقب فتنة الأمين.

تولى طاهر بن الحسين أعمال المشرق الإسلامي، واستطاع أن يقيم أسرة خاصة به حكمت هذه الأرجاء خلال الفترة من [205 - 259هـ/ 821 - 872م]، وظلت تعترف بالسيادة العباسية. ونجح طاهر [205 - 207هـ/ 820 -

(2) يرى الدكتور حسين مؤنس أن سبب الحرب يرجع في الأساس إلي خطأ المأمون، حيث رفض الاستجابة إلي مطالب الأمين بوصفه صار الخليفة الرسمي للبلاد ويلقي باللائمة علي الفضل بن سهل وزير المأمون ويغني علي الأمين بقوله: "ونجد الأمين أميناً كريماً حافظاً للواجب". تنقية أصول التاريخ الإسلامي، دار الرشاد، القاهرة، 2005م. ص: 155 وما بعدها.

[822م] في جباية خراج البلاد، والقضاء على الفتن والثورات التي نشبت ضده، كما راعى حقوق الدولة في شؤون الحكم والإمارة، وشؤون الرعية في تحقيق العدل فيما بينهم. ومما تجدر الإشارة إليه، أن حكام الدولة الطاهرية كانوا يهتمون بالعلم ويرفعون من شأن العلماء وخاصة المحدثين منهم.

من أقدم المحدثين ببلاد ما وراء النهر الذين رحلوا إلى مكة المكرمة، الإمام محمد بن سلام [بالتخفيف] بن فرج البخاري، أبو عبد الله البُيْكَندِي. ولد في سنة [162هـ / 769م] في مدينة بَيْكَنْد إحدى قرى إقليم بُخَارَى، الواقعة على نهر جَيْحُون، فنُسب إليها. عمل ابن سلام بالتجارة في بداية حياته، ثم التفت إلى طلب العلم، وخاصة علم الحديث، فرحل من أجله إلى آفاق العالم الإسلامي. فبدأ بإقليم خُوارزْم، المتاخم لإقليم بُخَارَى فسمع بها: عبد الكريم بن الأسود البصري، ومغيرة بن موسى (الذهبي، تاريخ الاسلام، د.ت). وبعد أن قضى رحلته ببلاد ما وراء النهر، يمم وجهه إلى حاضرة العالم الإسلامي (بَعْدَاد) فسمع بها من أبي الأحوص سلام بن سليم (الصفدي، د.ت)، وأبي إسحاق الفزاري (الذهبي، طبقات الحفاظ، د.ت)، وسفيان بن عيينة (ابن حجر، د.ت)، وغيرهم.

رحل ابن سلام بعد ذلك إلى مَكَّة الْمُكْرَمَة ومنها إلى المدينة المنورة للسمع من إمامها وعالمها مالك بن أنس [93 - 179 هـ / 712 - 795 م] غير أنه لم يسمع منه (ابن العماد، د.ت)، قال عن نفسه: " أدركتُ مالك بن أنس، فإذا الناس يقرؤون عليه، فلم أسمع منه " (الذهبي، تاريخ الاسلام، د.ت). وهذه مسألة تستحق المناقشة من قبل المحدثين، إذ كيف يرحل ابن سلام من بلاد ما وراء النهر إلى المدينة لرؤية الإمام مالك بن أنس، ولا يأخذ عنه؟!

على كل حال، رحل ابن سلام من الحجاز إلى مِصْرَ، فسمع بها علي بن الجعد، والحسن بن سوار (المقريزي، د.ت) وخلق غيرهم. ومن الجدير بالذكر، أن ابن سلام كان حريصاً على طلب العلم؛ ومن طريف ما يُروى في ذلك، أنه انكسر قلمه في مجلس علم، فأمر أن ينادي: قلم بدينار، فطارت إليه الأقلام (الذهبي، تاريخ الاسلام، د.ت). قال عن نفسه: " أنفقتُ في طلب العلم أربعين ألفاً، وأنفقتُ في نشره أربعين ألفاً " (ابن العماد، د.ت) (الصفدي، د.ت). هذا، وقد شغل حب طلب العلم ابن سلام عن الدنيا كلها، فلم يكن له هم سواه، قال: " لم أجلس في سوق بَيْكَنْد (3) منذ أربعين سنة " (الذهبي، تاريخ الاسلام، د.ت)، ومع ذلك فكان "محتشماً ذا أموال" (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت).

مما سبق نستنتج، أن ابن سلام قد طوّف في معظم أنحاء العالم الإسلامي، وسمع كثير من مشايخ زمانه، حتى وصل عدد شيوخه إلى الأربعمائة (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت). فاستطاع من خلال رحلته العلمية الطويلة من بلاد ما وراء النهر حتى مَكَّة الْمُكْرَمَة، أن يجمع كثيراً من علم الحديث فكان " يحفظ نحواً من خمسة آلاف حديث " (الذهبي، تذكرة الحفاظ، د.ت). قال السمعي: " كان فقيهاً، مُحَدِّثاً، ثَقَّةً " (السمعي، د.ت)، وقال الصفدي: " طَوَّف وكتب الكثير " (الصفدي، د.ت)، وقال السيوطي: " كان من كبار المحدثين، وله حديث كثير ورحلة " (الذهبي، طبقات الحفاظ، د.ت) (الزركلي، د.ت). بل كان ابن سلام كنز من كنوز إقليم خُراسان. قال أحمد بن الهيثم الشَّاشي: " بخُراسان كنزان: كنز عند محمد بن سلام البُيْكَندِي، وكنز عند إسحاق بن راهويه " (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت).

(3) عن النشاط الاقتصادي في هذا السوق، انظر: اليعقوبي: البلدان، ص 292، النرشخي: تاريخ بخارى، ص 36.

ذاعت شهرة ابن سَلَامِ الْبَيْكَنْدِيِّ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ بِصِفَتِهِ مُحَدِّثٌ ثَقَّةٌ، فَأَقْبَلَ طُلَّابُ الْعِلْمِ عَلَيْهِ، يَنْهَلُونَ مِنْ عِلْمِهِ، وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْ حُلُقِهِ. بَلْ أَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ: إِنَّ ابْنَ سَلَامٍ قَدْ نَجَحَ فِي تَكْوِينِ حَرَكَةٍ عِلْمِيَّةٍ فِي مَدِينَةِ بُخَارَى، حَبِيبَتْ إِلَى الطُّلَّابِ دِرَاسَةَ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَعِلْمِهِ، فَأَنْجَبَتْ لَنَا هَذِهِ الْحَرَكَةُ كَثِيرًا مِنْ أَيْمَةِ عِلْمِ الْحَدِيثِ، يَأْتِي فِي مَقْدَمَتِهِمُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ؛ الَّذِي رَوَى عَنْ شَيْخِهِ ابْنَ سَلَامٍ فِي كِتَابِهِ: "الْجَامِعُ الصَّحِيحُ"⁽⁴⁾، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَكْرِي (السمعاني، د.ت)، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ وَاصِلٍ (الذهبي، تذكرة الحفاظ، د.ت)، وَأَبُو عَمْرٍو مُحَمَّدُ بْنُ نُجَيْمٍ السَّمَرْقَنْدِيِّ (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت)، وَطَفِيلُ بْنُ زَيْدٍ النَّسْفِيُّ (الصفدي، د.ت)، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ (ابن حجر، د.ت)، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَيْمَةِ عِلْمِ الْحَدِيثِ.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ ابْنَ سَلَامِ الْبَيْكَنْدِيِّ: "صَنَّفَ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ (السيوطي، د.ت)" غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَذْكُرُوا لَنَا أَسْمَاءَ مُصَنَّفَاتِهِ، وَلَعَلَّ التَّارِيخَ يَجُودُ عَلَيْنَا بِالْعَثُورِ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الْمَصَنَّفَاتِ فَتَقِفُ عَلَى طَرِيقَتِهِ فِي التَّأْلِيفِ. تُؤَيِّدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَوْمَ الْأَحَدِ لِسَبْعِ مَضِينَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ [225 هـ / 839 م] (السمعاني، د.ت)، وَذَكَرَ عُجْنَجَارُ فِي كِتَابِهِ - الْمَفْقُودِ - "تَارِيخَ بُخَارَى": أَنَّهُ تُؤَيِّدُ بِمَضَرٍّ (المقريزي، د.ت).

صَفْوَةُ الْقَوْلِ، أَنَّ ابْنَ سَلَامِ الْبَيْكَنْدِيِّ يَعِدُّ أَقْدَمَ مَنْ رَحَلَ فِي طَلَبِ عِلْمِ الْحَدِيثِ مِنْ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ إِلَى مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ، وَعِنْدَمَا عَادَ إِلَى مَسْقَطِ رَأْسِهِ نَجَحَ فِي تَكْوِينِ حَلْقَةٍ عِلْمِيَّةٍ كَبْرَى فِي مَسْجِدِ بُخَارَى، أَنْجَبَتْ لَنَا هَذِهِ الْحَلْقَةُ كَثِيرًا مِنْ أَيْمَةِ الْحَدِيثِ الْعِظَامِ، وَكَانَتْ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ تَمْهِيدًا لظُهُورِ الْمَصَنَّفَاتِ الْكُبَرَى فِي السُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ، مِنْ أَمْثَالِ: سَنَنِ الدَّارِمِيِّ وَصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِمَا.

وَفِي سَنَةِ (218 هـ / 833 م)، يَتَوَفَّى الْخَلِيفَةُ الْمَأْمُونُ الْعَبَّاسِيُّ وَيَتَوَلَّى الْحُكْمَ مِنْ بَعْدِهِ الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ [218 - 227 هـ / 833 - 842 م]، هُوَ «مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدُ»، وَوُلِدَ فِي (شَعْبَانَ سَنَةِ 180 هـ / أَكْتُوبَرِ سَنَةِ 796 م)، وَأُمُّهُ جَارِيَّةٌ تَرْكِيَّةٌ اسْمُهَا «مَارِدَةُ»، وَقَدْ تَوَلَّى الْخِلَافَةَ عَقِبَ وَفَاةِ أَخِيهِ «الْمَأْمُونِ» (الطبري، د.ت) (ابن الأثير، د.ت).

وَقَدْ اسْتَمَرَّتْ حَلَقَاتُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ، وَكَانَ مِنْ أَبْرَزِ الْمُحَدِّثِينَ خِلَالِ تِلْكَ الْفَتْرَةِ، مُحَمَّدُ بْنُ مِقَاتٍ الْكِسَائِيُّ الْمَرْوَزِيُّ، وَقَدْ اشْتَهَرَ بِلقب "رَخ". وَلَدَ فِي إِحْدَى مَدَنِ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ، وَبِلَادَ الشَّامِ، وَرَحَلَ إِلَى مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ وَجَاوَرَ بِهَا حَتَّى مَاتَ (بَنُ خِيَاطٍ، د.ت). سَمِعَ مِنْ سَادَاتِ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَمْثَالِ: سَفْيَانَ بْنِ عَيِّنَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَعَبَادَ بْنَ الْعَوَامِ، وَغَيْرِهِمْ (الْمَزِي، د.ت) (الْفَاسِي، د.ت). رَوَى عَنْهُ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِبْرَاهِيمُ الْجَنْدِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ سَيَّارٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورِ الْمَرْزَبَانِ، وَغَيْرِهِمْ (ابْنُ حَنْبَلٍ، د.ت) (الْفَسَوِيُّ، د.ت). أَثْنَى عَلَيْهِ أَحَدُ الْمُؤَرِّخِينَ، بِقَوْلِهِ: "كَانَ صَدُوقًا، مُتَقَنًّا (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، د.ت) (ابْنُ حَبَانَ، د.ت)". مَاتَ فِي سَنَةِ [226 هـ / 840 م] (البخاري، التاريخ الصغير، د.ت).

(4) كِتَابُ الْإِيمَانِ حَدِيثٌ [20 - 38] ، كِتَابُ الْعِلْمِ ، حَدِيثٌ [97 - 111 - 130] كِتَابُ الْحَيْضِ [324] ، كِتَابُ التَّيَمُّمِ [347] كِتَابُ الْوُضُوءِ [181 - 228 - 243] إلخ . كَمَا رَوَى عَنْهُ فِي كِتَابِهِ " رَفَعَ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ " حَدِيثٌ رَقْمُ [160] . وَكِتَابُ " خَلَقَ أَفْعَالُ الْعِبَادِ " حَدِيثٌ رَقْمُ [198 - 402 - 512] . وَكِتَابُ " الْأَدَبُ الْمَفْرَدُ " حَدِيثٌ رَقْمُ [16 - 28 - 71 - 93 - 96 - 97 - 98 - 105 - 106 - 129] وَغَيْرُهَا . وَكِتَابُ " الْقِرَاءَةُ خَلْفَ الْإِمَامِ " حَدِيثٌ رَقْمُ [1 - 126] .

وبعد وفاة المعتصم ولي الخلافة ابنه هارون الواثق [227 - 232 هـ/841 - 846 م]، ولم تحدث في عهده أحداث ذات أهمية. وإن وصل القواد الأتراك في عهده إلى مكانة مرموقة، وقد منح الواثق للقائد التركي (أشناس) لقب سلطان، فكانت له صلاحيات واسعة. تُوفي عام [232 هـ/846 م]، فكان حكمه خمس سنوات (الطبري، د.ت) (مجهول، د.ت).

وعلى الرغم من غلبة الأتراك على شؤون الحكم في بغداد عهده إلا أن الحركة العلمية قد استمرت في الحرم المكي كسابق عهدها. فكان من المحدثين خلال تلك الفترة، صالح بن عبد الله الترمذي. ولد في مدينة ترمذ إحدى بلاد ما وراء النهر⁽⁵⁾، ورحل في طلب العلم إلى خراسان، والعراق وبلاد الشام، ثم نزل مكة المكرمة، وجاور بيت الله الحرم. ذكره الفسوي في رجال أهل مكة من مشيخته (البغدادي، د.ت). وروى عنه. وروى - أيضاً - عن حماد بن زيد، وعبد الله بن المبارك، ومالك بن أنس، وغيرهم (البخاري، التاريخ الكبير، د.ت). سمع منه أبو عيسى الترمذي، وأبو يعلى الحنبلي، وابن أبي الدنيا، وجماعة غيرهم (الذهبي، ميزان الاعتدال، د.ت) (الذهبي، الكاشف، د.ت). قال فيه أحد المؤرخين: "هو صاحب حديث وسنة وفضل، ممن كتب وجمع" (ابن أبي حاتم، د.ت) (ابن حبان، د.ت). مات سنة [231 هـ/845 م]، ودفن بمكة المكرمة (ابن حجر، لسان الميزان، د.ت).

ومن المحدثين المغمورين: صالح بن سالم السمرقندي. شيخ سمرقند، وسكن الشاش. كانت له رحلة علمية إلى مكة المكرمة وظل بها إلى أن مات في سنة [233 هـ/847 م]، روى عنه أبو يعقوب يوسف بن علي الأبار، وغيره (النسفي، د.ت).

ومن المحدثين الثقات؛ والذي جاور بيت الله الحرام ما يقرب من عشرين عامًا، علي بن حكيم السمرقندي. ولد في مدينة سمرقند (محمد خلف، الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر، د.ت) وكانت رحلة له علمية طويلة في طلب العلم، فدخل خراسان والري وفارس وبغداد ودمشق وغيرها من الأمصار الإسلامية (الذهبي، تاريخ الإسلام، د.ت) (حجر، د.ت)، ثم استقر به المقام في مكة المكرمة. سمع خلال تلك الرحلة من سادات المحدثين والعلماء من أمثال؛ وكيع بن الجراح، وسفيان بن عيينة، وأبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي، وغيرهم (الأصبهاني، د.ت). روى عنه كثير من أهل العلم في بلاد ما وراء النهر ومكة المكرمة، منهم: جعفر الفريابي، وجيهان القرغاني، وغيرهم (ابن حبان، د.ت) (النسفي، د.ت). قال أحد المؤرخين: "كان فقيهاً زاهداً يعرف بعلى البكاء، لكثرة بكائه، جاور بمكة نحوًا من عشرين سنة، وكان ثقة" (ابن حجر، تهذيب التهذيب، د.ت). مات بمكة المكرمة سنة [235 هـ/849 م] (المزي، د.ت) (الأنصاري، د.ت). وإذا جاء الحديث عن الإمام البخاري، فإنه يستحق أن نفرد الكلام عنه بشيء من التفصيل: إنه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، أبو عبد الله الجعفي البخاري (ابن تغري، د.ت) (الداودي، د.ت). كان بردزبه - الجدل الأعلى - للبخاري فارسي الأصل، عاش ومات مجوسياً. وكان أول من أسلم من أجداد البخاري المغيرة، وكان إسلامه على يد "اليمان الجعفي" والي بخارى آنذاك، فانتمى إليه (خلكان، د.ت) (ابن كثير، البداية والنهاية، د.ت).

(5) لمزيد من التفاصيل انظر: د. محمود محمد خلف: بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، ص: 24.

لم تمدنا المصادر التاريخية بشيء يذكر عن جده إبراهيم. أما أبوه إسماعيل، فكان أحد العلماء الورعين، رحل في طلب العلم فسمع مالك بن أنس، وحماد بن زيد، وصالح بن المبارك، وجماعة غيرهم. وعنه أخذ كثير من طلاب العلم، منهم: أحمد بن حفص (السبكي، د.ت) (القاسمي، د.ت)، وجماعة من العراقيين. وكان إسماعيل ورعاً، خاشعاً، يخاف الحرام، ويخشى الله تعالى ويتقنه. قال حين حضرته الوفاة: "لا أعلم في جميع مالي درهماً من شبهة" (ابن العماد، د.ت). ولعل ذلك يوضح لنا أن البُخاريّ نشأ في بيئة علمية، فأبوه كان مُحَدِّثًا كبيرًا، ولا يخفى علينا ما للبيئة من تأثير على الإنسان.

ولد البُخاريّ في مدينة بُخَارَى بعد صلاة الجمعة في ثالث عشر من شوال سنة [194 هـ/809 م]. تُؤيِّ والده وهو صغير، فنشأ في حجر أمه، وكانت امرأة تقية نقية، لا تقل ورعاً عن أبيه. روى عُنجار في كتابه "تاريخ بُخَارَى": إن محمد بن إسماعيل البُخاريّ ذهب عيناه في صغره فدعت أمه الله تعالى كثيراً حتى رأت الخليل إبراهيم في المنام، فقال لها: "يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك أو بكائك" (ابن الجوزي، د.ت).

رُزِق البُخاريّ حب العلم منذ صغره، فحفظ القرآن الكريم صغيراً وُحِب إليه علم الحديث منذ نعومة أظفاره. قال عن نفسه: "أُلهِمْتُ حفظ الحديث في المكتب ولي عشر سنوات أو أقل ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي" (البغدادي، د.ت). ومن طريف ما يذكر حول عبقرية البُخاريّ في صغره، أنه راجع شيخه الداخلي في إحدى مسائل العلم. فقد ذكرت المصادر التاريخية، أن البُخاريّ - وكان غلاماً - سمع الشيخ يقول: عن سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقال: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهره الشيخ، فقال له البُخاريّ: ارجع إلى الأصل إن كان عندك. فدخل فنظر فيه ثم خرج، فقال: كيف هو يا غلام؟ قال: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم فأخذ القلم منه وأصلح كتابه به. وقال: صدقت (ابن حجر، هدى الساري، د.ت). سئل البُخاريّ: ابن كم كان ذاك؟!، قال: ابن إحدى عشرة سنة.

وإن كان في هذا دلالة على عبقرية البُخاريّ، إلا إنه يثبت مدى أمانة الشيخ، الذي صحح خطأه من تلميذه أمام طلابه. ولا شك أن هذه التربية العلمية قد أثرت في حياة الإمام البُخاريّ بعد ذلك.

لم يكتفِ البُخاريّ بالسماع من هذا الشيخ، بل طوّف أنحاء بُخَارَى للسمع من علمائها، ومنهم: محمد بن سلام البَيْهَقَنديّ، ومحمد بن يوسف البَيْهَقَنديّ، وعبد الله بن محمد المسندي، وهارون ابن الأشعث، وطائفة غيرهم (السبكي، د.ت) (القاسمي، د.ت). وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره حفظ كتب عبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح وغيرهم من أهل الرأي.

بدأ الإمام البُخاريّ رحلته العلمية مبكراً، إذ خرج مع أمه وأخيه أحمد لأداء مناسك الحج في مَكَّة المُكْرَمَة. وبعدما رجع أحمد بوالدته إلى بُخَارَى، ظل البُخاريّ مجاوراً بمكة ليسمع بها العلم وهو ابن ستة عشر عاماً. ومن مَكَّة المُكْرَمَة رحل إلى المدينة المنورة للأخذ عن علمائها، ومن أشهرهم عبد العزيز الأويسبي، ومطرف بن عبد الله (ابن الجوزي، المنتظم، د.ت) (الداودي، د.ت)، وغيرهم.

وعلى ذلك يكون الإمام البُخاريّ قد بدأ أول سماعه للعلم خارج مسقط رأسه - بُخَارَى - بالحرمين الشريفين، واستطاع خلال ستة أعوام أن يُحصل كثيراً من علم الحديث، ثم انطلق في سياحته العلمية متنقلاً عبر الأقاليم والأقطار. تنابعت رحلات البُخاريّ وسفره في سبيل طلب علم الحديث والرواية حتى شملت أغلب الحواضر العلمية في وقته واستغرقت معظم حياته. فسمع ببُلْخ: مكي بن إبراهيم، ويحيى بن بشر الزاهد، وقتيبة بن سعيد. وبمَرُو سمع علي بن الحسن بن شقيق، وغيره. وبَنِيْسَابُور سمع يحيى بن يحيى، وبشر بن الحكم، وإسحاق بن إبراهيم بن راهويه، وغيرهم. وبالرَّي سمع إبراهيم بن موسى. وبالشَّام سمع محمد بن يوسف الفريابي، وآدم بن أبي إياس، والحكم بن نافع، وأقراهم (البغدادي، د.ت) (السبكي، د.ت).

ثم دخل الإمام البُخاريّ العراق وطاف في ربوعها وسمع من علمائها. فسمع محمد بن عيسى الطباع، ومحمد بن سائق، وأحمد بن حنبل (الصفدي، د.ت) (ابن أبي يعلى، د.ت)، وغيرهم. وبوَاسِط سمع حسان بن حسان، وحسان بن عبد الله. وبالبَصْرَة سمع صفوان بن عيسى، وعفان بن مسلم، ومحمد بن سنان. وبالكُوفَة سمع عبيد الله بن موسى، وأحمد بن يعقوب، والحسن بن الربيع، وخالد بن مخلد، وغيرهم. وبالجزيرة سمع أحمد بن عبد الملك الحراني، وأحمد بن يزيد الحراني، وإسماعيل بن عبد الله الرقي، وأقراهم.

هكذا كانت رحلة الإمام البُخاريّ في الأمصار الإسلاميّة: مَكَّة، والمدينة، وبَغْدَاد، ووَاسِط، والبَصْرَة، والكُوفَة، وِدْمَشْق، وِجْمَص، وقَيْسَارِيَّة، وعَسْقلَان، ومِصْر، وِخْرَاسَان، ونَيْسَابُور، ومَرُو، وهَرَاة، وغيرها. وجدير بالذكر أن الإمام البُخاريّ ربما دخل المدينة الواحدة أكثر من مرة، يقول عن نفسه: "دخلتُ إلى الشَّام ومِصْرَ والجزيرة مرتين، وإلى البَصْرَة أربع مرات، وأقمت بالْحِجَاز ستة أعوام، ولا أحصي كم مرة دخلت إلى الكُوفَة وبَغْدَاد مع المِخْدَثين" (القاسمي، د.ت).

ذاعت شهرة الإمام البُخاريّ في الآفاق، فكان من الطبيعي أن يلتف حوله الطلاب في كل بلد نزل فيها، ليأخذوا عنه، ويسمعوا منه. وجدير بالذكر، أن الإمام سمع منه شيوخه، ومن أشهرهم: عبد الله بن محمد المسندي، وعبد الله بن المنير، وإسحاق بن أحمد السرموي، ومحمد بن خلف بن قتيبة، وغيرهم. كما سمع منه أقرانه، ومنهم: أبو زرعة الرازي، وأبو حاتم الرازي، وإبراهيم الحري، وصالح بن محمد جزرة، والإمام مسلم بن الحجاج؛ الذي قَبِلَ الإمام البُخاريّ بين عينيه، وقال: "دعني حتى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المِخْدَثين وطبيب الحديث في علله" (ابن الجوزي، المنتظم، د.ت) (ابن حجر، هدى الساري، د.ت).

كما سمع منه الإمام محمد بن نصر المروزي، والإمام النسائي، والإمام أبو عيسى الترمذي وغيرهم. هؤلاء هم أشهر من سمع من الإمام مباشرة. أما من أخذ عنه فخلق لا يمكن حصرهم. فقد ذكر المؤرخون، أن عدد من سمع كتاب الصحيح من البُخاريّ: تسعين ألفاً، وكان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفاً يأخذون عنه (البغدادي، د.ت) (ابن حجر، هدى الساري، د.ت) (السيوطي، د.ت).

صَنَّفَ الإمام البُخاريّ كثيراً من الكتب منها ما هو مطبوع أو مخطوط أو مفقود (خليفة، د.ت) (بروكلمان، د.ت) (سزكين، د.ت)، ومن أشهرها: كتاب "الجامع الصحيح" وهو أشهر مُصَنَّفَاتِ السُّنَّةِ على الإطلاق. ويرجع بعض

المؤرخين سبب تأليف هذا الكتاب إلى الإمام إسحاق بن راهويه الذي قال لطلابه: " لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سُنة رسول الله (ﷺ) ". قال البُخَارِيُّ: فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع كتاب " الجامع الصَّحِيح "، ثم قال عن نفسه: " ما أدخلت في كتاب الجامع الصَّحِيح إلا ما صح " (السبكي، د.ت).

هذا، وقد استمر الإمام في جمعه ما يقرب من ستة عشر عامًا، ولا أستبعد أن يكون الإمام قد كتب جزءًا منه في مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ. فهو القائل: " رب حديث سمعته بالبصرة كتبتة بالشَّام، ورب حديث سمعته بالشَّام كتبتة بمِصْرَ " (ابن حجر، هدى الساري، د.ت). ومن الجدير بالذكر، أن الإمام قد عرض كتابه المذكور على محدِّثي عصره من أمثال: يحيى بن معين [المتوفى عام: 233 هـ / 847 م]، وعلي بن المديني [المتوفى عام: 235 هـ / 948 م]، وأحمد بن حنبل [المتوفى عام: 241 هـ / 805 م] فحسنة جميعهم. ومن كتبه، أيضًا، كتاب: " التاريخ الكبير " (6)، و: " التاريخ الأوسط "، و " التاريخ الصغير " (7)، و " الضعفاء الصغير " (8)، و: " التاريخ في معرفة رواة الحديث، ونقله الآثار والسنن وتمييز ثقافتهم من ضعفاتهم وتاريخ وفاتهم " (معهد المخطوطات العربية)، و: " التواريخ والأنساب " (9)، و " الكنى " (10)، و " الأدب المفرد " (11)، و " رفع اليدين في الصلاة " (12)، و " القراءة خلف الإمام " (13)، و " خلق أفعال العباد والرد على الجهمية " (14)، و " العقيدة " أو " التوحيد " (15)، و " الجامع الكبير "، و " المسند الكبير "، و " التفسير الكبير "، و " أخبار الصفات "، و " الأشربة "، و " الهبة "، و " أسامي الصحابة "، و " الوجدان "، و " المبسوط "، و " العلل "، و " الفوائد "، و " قضايا الصحابة "، و " سنن الفقهاء "، و " الجامع الصغير "، و " الثلاثيات ".

ويطول بنا القول لو ذكرت ثناء العلماء على الإمام البُخَارِيِّ (البغدادى، د.ت) (ابن حجر، هدى الساري، د.ت) (السيوطي، د.ت)، وفقهه (16)، ومذهبه (17)، والمحنة التي تعرض لها في نَيْسَابُور وُجُخَارَى (البغدادى، د.ت) (ابن

(6) طُبِعَ فِي حَيْدَرِ آبَادَ ، فِي (4) مَجْلَدَاتٍ ، 1941 م .

(7) حَقَّقَهُ مُحَمَّدُ الْجَعْفَرِيُّ ، وَطُبِعَ فِي أَحْمَدَ آبَادَ عَامَ 1325 هـ / 1907 م .

(8) طُبِعَ فِي أَكْرَا عَامَ 1323 هـ / 1905 م ، اللَّهُ آبَادَ عَامَ 1325 هـ / 1907 م .

(9) تَوَجَّدَ مِنْهُ نَسْخَةٌ فِي اسْتَانْبُولَ ، سَرِي أَحْمَدُ الثَّالِثُ [2/2969] .

(10) طُبِعَ فِي حَيْدَرِ آبَادَ عَامَ 1360 هـ / 1941 م .

(11) طُبِعَ بِتَحْقِيقِ مُحَمَّدِ فُؤَادِ عَبْدِ الْبَاقِي بِالْقَاهِرَةِ عَامَ 1346 هـ / 1937 م .

(12) طُبِعَ فِي دِلْهِي عَامَ 1299 هـ / 1881 م .

(13) طُبِعَ بِعَنْوَانِ " خَيْرُ الْكَلَامِ فِي الْقِرَاءَةِ خَلْفَ الْإِمَامِ " طُبِعَ فِي دِلْهِي عَامَ 1299 هـ / 1881 م ، وَلَهُ طَبْعَاتٌ عَدِيدَةٌ بِالْقَاهِرَةِ .

(14) طُبِعَ بِتَحْقِيقِ شَمْسِ الْحَقِّ عَظِيمِ آبَادِي ، دِلْهِي ، عَامَ 1356 هـ / 1937 م .

(15) تَوَجَّدَ نَسْخَةٌ مِنْهُ فِي مَعْهَدِ الْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ [137/1] .

(16) انظر - على سبيل المثال - : القاسمي : حياة البخاري ، ص 38.

الجوزي، المنتظم، د.ت) (ابن كثير، البداية والنهاية، د.ت)، فحياة الإمام تستحق بحثًا مفردًا. وعلى كل حال، عندما هم الإمام بالخروج من بَيْكَنْد إلى قرية خرتنك إحدى قرى سَمَرْقَنْد⁽¹⁸⁾، رفع يديه - بعد أن فرغ من صلاة الليل - يقول في دعائه: "اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضني إليك"، فما تم الشهر حتى تُؤَيِّ - رحمه الله تعالى - ليلة عيد الفطر سنة [256 هـ / 870 م] (الصفدي، د.ت) (ابن تغري، د.ت) (ابن العماد، د.ت) عن عمر يناهز ثنتين وستين عامًا. هذا، وقد أكد كثير ممن حضر وفاة الإمام، أن رائحة المسك كانت تفوح من قبره. كما ذُكرت له كثير من الرؤى التي تدل على علو منزلته عند الله تعالى (ابن الجوزي، المنتظم، د.ت) (ابن الجوزي، صفوة الصفوة، د.ت). قال الحافظ ابن كثير: "وقد ترك رحمه الله بعده علمًا نافعا لجميع المسلمين، فعلمه لم ينقطع، بل هو موصول بما أسداه من الصالحات في الحياة" (ابن كثير، البداية والنهاية، د.ت).

ثم جاء من بعد الإمام البُخَارِيَّ جماعة من المحدثين المغمورين، لم يقدموا جديدًا في علم الحديث، وإن اقتفوا أثر الإمام في طريقة التحديث والتصنيف. منهم: إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْبُخَارِيَّ (ابن الجوزي، المنتظم، د.ت) (الزركلي، د.ت)، كان جوالاً في البلاد لطلب علم الحديث، فدخل سَمَرْقَنْدَ وَنَسَفَ ثم مكة المكرمة والبصرة وبغداد والرملة ودمشق (ابن عساكر، د.ت) (ابن منظور، د.ت) ومصر (ابن تغري، د.ت) (المقريزي، د.ت) (ابن يونس، د.ت)، وغيرها من بلدان العالم الإسلامي. وقد روى خلال هذه الرحلة الطويلة عن كثير من أعلام الأمة الإسلامية من أمثال: إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ زَبْرِ الرَّبْعِيِّ، وأحمد بن إسحاق الحضرمي، وأحمد بن عبد الله بن يونس، وأحمد بن مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ؛ والذي روى عنه كثير من المسائل، وصفوان بن صالح الدمشقي، وعبد الله بن صالح المصري، وعبد الله بن يوسف التنيسي، وغيرهم كثير (المزي، د.ت). وكان الإمام أحمد بن حنبل يكرمه إكرامًا شديدًا ويكتبه فيتقوى بكتابه ويقراه على المنبر (السمعاني، د.ت) (ابن حجر، تهذيب التهذيب، د.ت)، قال النَّسَائِيُّ: ثقة (ابن أبي حاتم، د.ت) (ابن حبان، د.ت). وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: كان من الحفاظ المصنِّفين والمخرجين الثقات (ابن حجر، تقريب التهذيب، د.ت) (السيوطي، د.ت). رَوَى عَنْهُ كثير من طلاب العلم في كل بلد نزل فيه، ومنهم: أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دَحِيمَ الدَّمَشْقِيِّ، وَالفَضْلُ بْنُ دَكِينٍ، وغيرهم (ابن الجوزي س.، د.ت). قال النَّسَفِيُّ: "روى عنه أهل بلادنا وحدث ببُخَارَى" (النسفي، القند، د.ت). وإلى جانب تعليم الحديث، كانت له "المُصَنَّفَاتُ الْمَشْهُورَةُ الْمُفِيدَةُ، مِنْهَا الْمُتَرَجَّمُ فِيهِ غُلُومٌ غَزِيرَةٌ وَقَوَائِدُ كَثِيرَةٌ" - كما يقول أحد المؤرخين (ابن كثير، البداية والنهاية، د.ت) -، من أشهرها (الكتاني، د.ت) (سزكين، د.ت) (قره بلوط، د.ت) (البيضاوي، د.ت) (أبو الحاج، د.ت): «أمارات النبوة» (خزانة التراث -

(17) اختلف الفقهاء حول مذهب الإمام البخاري، فالإمام السبكي في طبقات الشافعية الكبرى، ج 2، ص 212، وابن قاضي شهبه: في طبقات الشافعية، ج 1، ص 83، عدوه فقيهاً شافعيًا. على حين ترجم له ابن أبي يعلى: في طبقات الحنابلة، ج 1، ص 271 على أنه فقيهاً حنبليًا. والحقيقة إن الإمام كان فقيهاً مستقلاً بالاجتهاد ولم يكن مقلداً وله استنباطات تفرد بها.

(18) ذكر السمعاني في كتابه الأنساب، ج 2، ص 340 - 341، إن الإمام البخاري نزل على أبي منصور غالب بن جبريل الخرتكي، ومات في داره، وهو الذي تولى أسباب دفنه، ثم مات بعده بقليل وأوصى أن يدفن بجانبه.

فهرس المخطوطات)، و«الشجرة في أحوال الرجال» (السامرائي، 1405 هـ)، و«الأباطيل»، وغيرها. مات بمكة المكرمة في سنة [256هـ/870م].

هؤلاء أبرز المُحَدِّثِينَ الَّذِينَ رَحَلُوا مِنْ بِلَاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ إِلَى مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ فِي خِلَالِ عَصْرِ الدَّوْلَةِ الطَّاهِرِيَّةِ، كَانَتْ الْبَدَايَةُ عَلَى يَدِ الْمُحَدِّثِ ابْنِ سَلَامِ الْبَيْكَنْدِيِّ، ثُمَّ تَوَجَّهَتْ هَذِهِ الْعِلَاقَةُ بِزِيَارَةِ الْإِمَامِ الْبُخَّارِيِّ، ثُمَّ كَانَتْ مَرَحَلَةَ التَّقْلِيدِ بِزِيَارَةِ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ الْمَغْمُورِينَ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَمْ حِظْ فِي التَّارِيخِ إِلَّا بِذِكْرِ أَسْمَائِهِمْ.

المبحث الرابع: المُحَدِّثُونَ فِي عَصْرِ الدَّوْلَةِ السَّامَانِيَّةِ [261 - 390 هـ/874 - 1000 م]

يُؤَسِّسُ السَّامَانِيُّونَ إِلَى سَامَانَ بْنِ حُجْبَا، الَّذِي يَرْجِعُ نَسَبُهُ إِلَى بَهْرَامِ جَوْبِينَ، قَائِدِ كَسْرَى أَبْرُويز؛ وَالَّذِي ثَارَ عَلَيْهِ وَاضْطُرَّ لِلْفِرَارِ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، ثُمَّ اسْتَعَانَ بِهِمْ كَسْرَى عَلَى بَهْرَامِ جَوْبِينَ لِاسْتِعَادَةِ مُلْكِهِ، وَعِنْدَمَا تَمَكَّنَ كَسْرَى مِنْ عَرْشِهِ قَتَلَ بَهْرَامَ جَوْبِينَ - الثَّائِرَ عَلَيْهِ - وَاسْتَعَادَ مُلْكَهُ الْمَسْلُوبَ (السمعاني، د.ت). وَعَلَى ذَلِكَ فَالسَّامَانِيُّونَ يُنْتَسِبُونَ إِلَى إِحْدَى أَسْرِ الْفَرَسِ الْعَرِيقَةِ (مُحَمَّدُ خَلْف، بِلَاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، د.ت).

وَلَمْ أَعُثِرْ عَلَى مَعْلُومَاتٍ تَفِيدُنِي فِي مَعْرِفَةِ تَارِيخِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ، إِلَّا إِنْ التَّرْشُخِي يَذْكُرُ أَنَّ سَامَانَ (الْمَذْكُورَ) أَصْلُهُ مِنْ قَرْيَةِ سَامَانَ - إِحْدَى قُرَى بَلْخ - سَكَنَهَا فِي وَلايَةِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ عَلَى خِرَاسَانَ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ [105-129 هـ/724-743 م] وَقَدْ أَحْسَنَ أَسَدُ الْقَسْرِيِّ إِلَى سَامَانَ وَأَكْرَمَهُ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ، وَلَمَّا رُزِقَ بِغُلَامٍ سَمَاهُ أَسَدًا لِحُبَّتِهِ لِأَسَدِ الْقَسْرِيِّ، وَاعْتِرَافًا مِنْهُ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِ.

كَانَ لِأَسَدِ بْنِ سَامَانَ أَرْبَعَةٌ⁽¹⁹⁾ مِنَ الْأَبْنَاءِ؛ وَهُمْ: نُوحٌ، وَأَحْمَدُ، وَيَحْيَى، وَإِلْيَاسُ، وَكَانَ أَوَّلُ ظَهْوَرِ لَهُمْ فِي خِلَافَةِ الْمَأْمُونِ⁽²⁰⁾. وَنَالُوا الْحِظَّةَ عِنْدَهُ، فَوُلِيَ أَوْلَادُ أَسَدِ بْنِ سَامَانَ بِلَادَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، فَوُلِيَ نُوحٌ سَمَرْقَنْدَ فِي سَنَةِ [204 هـ/819 م]، وَأَحْمَدُ فَرَّغَانَةَ، وَيَحْيَى الشَّاشَ وَأَشْرُوسَنَةَ، وَأَمَّا إِلْيَاسُ فَقَدْ تَوَلَّى هِرَاةَ (الْكُرْدِيَّيْ، د.ت)، وَبِذَلِكَ فَقَدْ رَفَعَ الْمَأْمُونُ مِنْ شَأْنِ آلِ سَامَانَ. وَعِنْدَمَا تَوَلَّى طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ إِقْلِيمَ خِرَاسَانَ؛ أَقْرَبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فَظَلَّ السَّامَانِيُّونَ حُكَّامًا لِبِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، يَتَعَاوَنُونَ تَعَاوُنًا صَادِقًا مَعَ الطَّاهِرِيِّينَ، وَيَحْمُونَ هَذَا الثَّغَرَ الشَّرْقِيَّ، وَيَمْدُونَ نَفُوذَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ فِي هَذِهِ الْمُنْطَقَةِ.

وَهَكَذَا، أَصْبَحَتْ بِلَادُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ مَنَارَةَ الْعُلُومِ، يَفِدُ إِلَيْهَا الطُّلَابُ لِلدِّرَاسَةِ، وَكُتِبَ التَّرَاجِمُ وَالطَّبَقَاتُ تَغْصُ بِأَسْمَاءِ الْمَنَاطِ مِنْهُمْ، كَمَا تَغْصُ الْمَكْتَبَةُ الْعَرَبِيَّةُ بِمُؤَلَّفَاتِهِمْ، وَمِنْ حُسْنِ الْحِظِّ، أَنَّ الرَّحَالَهَ الْمُقَدَّسِيَّ [ت378 هـ/988 م]، زَارَ هَذِهِ الْبِلَادَ خِلَالِ تِلْكَ الْفَتْرَةِ، وَقَدَّمَ لَنَا وَصْفًا رَائِعًا عَنْهَا، وَعَنْ حُكْمَانِهَا فَقَالَ: "إِنَّهُمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَمَسُّكًا بِالْحَقِّ، وَهُمْ بِالْخَيْرِ

(19) يَذْكُرُ ابْنُ خُلْدُونِ سَبْعَةَ مِنَ الْأَبْنَاءِ، وَيُضَيِّفُ: يَعْقُوبُ، وَإِسْحَاقُ، وَحَمِيدُ. تَارِيخُ ابْنِ خُلْدُونِ، 4/333.

(20) يَذْكُرُ د. عَصَامُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّؤُوفِ الْفَقِّي فِي كِتَابِهِ: "الدُّوَلُ الْمُسْتَقِلَّةُ فِي الشَّرْقِ"، ص: 12، أَنَّ أَوَّلَ ظَهْوَرِ لآلِ سَامَانَ كَانَ فِي خِلَافَةِ الرَّشِيدِ، وَذَلِكَ أَثْنَاءَ ثَوْرَةِ رَافِعِ بْنِ اللَّيْثِ، وَأَنَّهُمْ أَعَانُوا الرَّشِيدَ فِي الْقَضَاءِ عَلَى ثَوْرَةِ رَافِعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: "وَهَذَا بِأَلِ الرَّشِيدِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، إِذْ كَانَ يَخْشَى أَنْ يَسْتَوْلِيَ رَافِعٌ عَلَى خِرَاسَانَ"، وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ ثَوْرَةَ رَافِعٍ انْتَهَتْ فِي خِلَافَةِ الْمَأْمُونِ، وَلَيْسَ فِي خِلَافَةِ الرَّشِيدِ.

والشر أعلم" (المقدسي، أحسن التقاسيم، د.ت) (النويري، د.ت)، كما أقر بعلمهم الكثير، وحفظهم العجيب، واستقرار الأمور هناك، وانتشار الرخاء في أرجاء هذه البلاد. ومما هو جدير بالذكر، أن رجال الدين والعلم تمتعوا في ظل حكام تلك الدولة؛ بمكانة خاصة فكانوا يوقرون العلماء، ويستعينون برجال الدين. وقد بلغ من توفيرهم أن جعلوا العلماء لا يُكَلَّفون بتقبيل الأرض بين يدي الأمير، لذا "فكانت الأمور تصدر عن رأيهم، وتقضي حوائجهم، ويعين العمال وفقاً لمشورتهم" (بارتولد، د.ت).

ومن المحدثين المغموريين الذين ظهوروا تلك الفترة: محمد بن إسحاق البُيْكَندِي، والذي رحل من بلاد ما وراء النهر إلى بَغْدَاد، فسمع بها أئمة العلم، ثم قدم مِصْرَ وأقام بها فترة ليست بالقليلة، أخذ عن علمائها (المقريزي، د.ت). ثم خرج إلى مَكَّة المُكْرَمَة وظل بها إلى أن مات في شوال سنة [262 هـ/ 875 م]، ولم تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عنه. ويبدو أن مدينة بَيْكَنْد قد حازت قصب السبق في علم الحديث، فهذا هو العلم الثالث من أعلام هذه المدينة، وهو: إسماعيل بن حمدويه البُيْكَندِي البُخَارِي. لم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئاً عن سنة ميلاده، ولكنها أكدت أنه حفظ القرآن الكريم في صغره، ثم سمع الحديث من أعلام بلاده، من أمثال: محمد بن سلام البُيْكَندِي، وأبي رجاء سعيد بن حفص البُخَارِي (الذهبي، تاريخ الاسلام، د.ت)، وغيرهما. ثم بدأ رحلته إلى إقليم خُرَاسَانَ المتاخم لِبِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وبعد أن طَوَّف في أقاليمه رحل إلى دِمَشْق (ابن عساکر، د.ت)، ومنها إلى مدينة الرملة (ابن حبان، د.ت)، وعنها إلى مَكَّة المُكْرَمَة، ثم عَنَّتْ له الرحلة إلى مِصْرَ (ابن ماکولا، د.ت) (الحموي، د.ت) (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، د.ت) فاستقر بها فترة ليست بالقليلة، سمع من علمائها وحدث بها، قال ابن يونس في كتابه - المفقود - " تاريخ مِصْرَ " : " قدم (ابن حمدويه) إلى مِصْرَ وحدثنا بها" (العيني، د.ت) (فتحي عبد الفتاح ، 2000)⁽²¹⁾، ثم عاد أدراجه إلى مَكَّة المُكْرَمَة ليتخذها مقراً له. أما عن الأثر العلمي للإمام، فلم تذكر لنا المصادر التاريخية مُصَنَّفًا علميًا يحمل اسمه، ولكنها ذكرت لنا كثير من تلامذته، كان من أشهرهم: أبو الميمون بن راشد البجلي (ابن عساکر، د.ت)، ومحمد بن حمدون بن خالد النيسابوري (الحموي، د.ت)، ومحمد بن يوسف بن بشر الهروي (الذهبي، تاريخ الاسلام، د.ت)، وأبي جعفر الطحاوي المصري، والذي روي عنه في كتابه " مشكل الآثار " (الطحاوي، د.ت). تُؤَيِّ - رحمه الله تعالى - في سنة [273 هـ / 886 م] بعد رحلة طويلة مع علم الحديث، الذي بثه بين تلامذته، لينقلوه عنه ويعلموه الناس، وكان من أبرزهم عالم مِصْرَ وفقيهها الإمام الطحاوي.

ومن المحدثين - كذلك - : مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يُوسُفَ السُّلَمِيِّ التِّرْمِذِيِّ (ابن الجوزي، المنتظم، د.ت) (ابن حجر، تهذيب التهذيب، د.ت). الإمام، الحافظ، الثَّقَّةُ (الذهبي، تاريخ الاسلام، د.ت) (الصفدي، د.ت)، وُلِدَ فِي تِرْمِذٍ وَأَخَذَ عَنْ عِلْمَائِهَا ثُمَّ كَانَتْ رَحِلَتُهُ الْعِلْمِيَّةُ إِلَى مَكَّة الْمُكْرَمَة وَالشَّامِ، وَمِصْرَ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ. سَمِعَ خِلَالِ تِلْكَ الرَّحْلَةِ مِنْ عِلْمَاءِ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَمِنْ أَشْهَرِهِمْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، وَقَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ، وَمُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، وَحَمَّادُ بْنُ مَالِكٍ الْحَرَسَتَانِيَّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ الْأَرْكَوْنِ، وَنُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، وَطَبَقَتُهُمْ (الذهبي، تذكرة

(21) للأسف لم أعر على هذا النص في تاريخ ابن يونس المطبوع بين أيدينا، حيث لم يرد ذكر للإمام إسماعيل بن حمدويه.

(الحفاظ، د.ت) (الذهبي، المغني في الضعفاء، د.ت). وعُني بعلم الحديث، وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وَطَالَ عُمرُهُ، وَرَحَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ. حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْبَغْدَادِي (ابن العماد، د.ت)، وَمُوسَى بْنُ هَارُونَ، وَإِسْمَاعِيلُ الصَّقَّارُ، وَأَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ، وَخَيْثَمَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وَأَبُو سَهْلٍ بْنُ زِيَادٍ، وَأَبُو بَكْرٍ الشَّافِعِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ النَّجَّادُ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَرَّمٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ النَّضْرِي الْمُرُوزِي (ابن العماد، د.ت)، وَخَلَقَ كَثِيرٌ (ابن كثير، البداية والنهاية، د.ت) (الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، د.ت). أَثْنَى عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ، فَقَالَ النَّسَائِيُّ: ثِقَّةٌ. وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: ثِقَّةٌ صَدُوقٌ. وَقَالَ الْخَطِيبُ: كَانَ فَهْمًا، مُتَقِنًا، مَشْهُورًا بِمَذْهَبِ السُّنَّةِ (البغدادى، د.ت). وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَمِعْتُ مِنْهُ بِمَكَّةَ (ابن أبي حاتم، د.ت) (ابن حبان، د.ت). وَقَالَ الْبَغْدَادِيُّ: انْتَبَهَ الْحَالُ عَلَى تَوَثُّقِهِ وَإِمَامَتِهِ (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت) (السيوطي، د.ت). تُوفِّيَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ [280هـ/894م] (الذهبي، العبر، د.ت) (ابن العماد، د.ت).

وَمِنْ بَيْكَنْد - أَيْضًا - يَأْتِي الْمَحْدَثُ؛ غُزِير (السهمي، د.ت) بن الأحنف بن الفضل، المكنى بأبي عصمة البُخَارِي. سَمِعَ بَيْلَهُ بُخَارِي، وَرَحَلَ إِلَى بَلْخ، وَنَيْسَابُور (الذهبي، تاريخ الإسلام، د.ت)، وَبَغْدَاد، وَدِمَشْق (ابن عساکر، د.ت)، وَمِصْرَ، وَمَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ، وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ. تُوفِّيَ فِي سَنَةِ [288هـ/900م] (البغدادى، د.ت). وَمِنْ رَحَلَ مِنْ بُخَارَى إِلَى مَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ؛ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَبِيبِ الْأَسَدِيِّ الْبُخَارِيِّ؛ "الحافظ، العارف، إمام المحدثين في عصره، وَمِنْ يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي عِلْمِ الْأَثَارِ، وَمَعْرِفَةِ نَقْلَةِ الْأَخْبَارِ" (البغدادى، د.ت). بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ افْتَتَحَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ تَرْجَمَتَهُ. وَلَدَ فِي سَنَةِ [205هـ/820م] (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت) (الذهبي، تذكرة الحفاظ، د.ت) كَمَا قَالَ الْحَافِظُ الْبَغْدَادِيُّ، وَرَجَعَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ (البغدادى، د.ت) وَابْنُ عَسَاكِرَ (ابن عساکر، د.ت) مَوْلَاهُ سَنَةَ [210هـ/825م]. وَطَلَبَ الْعِلْمَ صَغِيرًا، فَانْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ (الذهبي، تاريخ الإسلام، د.ت) (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت)، الَّتِي كَانَتْ تَعْجُ بِالْمُحَدِّثِينَ، فَسَمِعَ بِهَا مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِمَامِ الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ فِي زَمَانِهِ، يُحْيِي بَنَ مَعِينٍ (البغدادى، د.ت)، وَسَمِعَ - كَذَلِكَ - خَلْفَ بْنِ هِشَامِ الْبَزَارِ (الذهبي، العبر، د.ت)، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَعْلَامِ الْمَحْدَثِينَ. ثُمَّ رَحَلَ صَالِحٌ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى دِمَشْق، الَّتِي كَانَتْ لَا تَقِلُّ عَنْ بَغْدَادَ فِي شَهْرَةِ عُلَمَائِهَا، فَسَمِعَ هِشَامَ بْنَ عَمَارٍ، وَدَحِيمَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الدِّمَشْقِي (ابن العماد، د.ت) (الذهبي، تذكرة الحفاظ، د.ت)، وَغَيْرِهِمْ. وَمِنْهَا انْتَقَلَ إِلَى الْحِجَازِ فَسَمِعَ بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ، وَالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَبَعْدَ الْحَجِّ، رَحَلَ إِلَى مِصْرَ (ابن عساکر، د.ت) (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، د.ت). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "كَانَ صَالِحًا، حَافِظًا، مَكْتَرًا، جَوَالًا، رَحَالًا، طَافَ الشَّامَ وَمِصْرَ وَخِرَاسَانَ، وَسَكَنَ بَغْدَادَ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى بُخَارَى فَسَكَنَهَا" (ابن العماد، د.ت).

أَمَّا بِمَخْصُوصِ الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ - وَخَاصَّةً عِلْمَ الْحَدِيثِ - فَقَدْ نَشِطَتْ بِقُدُومِ صَالِحٍ إِلَيْهِمْ. قَالَ عَنْ نَفْسِهِ لِأَهْلِي بُخَارَى: "عَبَرْتُ جِيحُونَكُمْ وَمَا مَعِيَ كِتَابٌ" (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت). بِمَعْنَى إِنَّهُ كَانَ يُمْلِي مِنْ ذَاكِرَتِهِ. هَذَا، وَقَدْ أَثْنَى عُلَمَاءُ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ عَلَى الْإِمَامِ صَالِحٍ. فَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو سَعْدٍ الْإِدْرِيسِيُّ فِي - كِتَابِهِ الْمَفْقُودِ - "تَارِيخُ سَمَرْقَنْدٍ": "صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ، مَا أَعْلَمَ فِي عَصْرِهِ بِالْعِرَاقِ وَخِرَاسَانَ فِي الْحِفْظِ مِثْلَهُ، دَخَلَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، فَحَدَّثَ مَدَّةً مِنْ حِفْظِهِ،

وما أعلم أخذ عليه ما حدث خطأ " ثم قال : " رأيْتُ أبا أحمد بن عدى يفخم أمره ويعظمه " (البغدادي، د.ت). وقال غُنْجَارٌ فِي - كتابه المفقود - " تاريخ بُخَارَى " : " كان نسيج وحده في زمانه في الحفظ والمعرفة والإتقان... وكان ثقة عارفاً " (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت). وقال الدارقطني: " رحل إلى بُخَارَى ، وأقام بها حتى مات وحديثه عند البُخَارِيِّين ، وكان ثقة، صدوقاً ، حافظاً عارفاً " (الصفدي، د.ت). وأُتِنِب الخطيب البَغْدَادِي فِي الثناء عليه حتى قال: " كان حافظاً، عارفاً ، من أئمة الحديث ، وممن يرجع إليه في علم الآثار ، ومعرفة نقل الأخبار. رحل كثيراً ولقى المشايخ بالشام ومصر وخراسان ، وانتقل من بَغْدَاد إلى بُخَارَى فسكنها ، فحصل حديثه عند أهلها ، وحدث دهرًا طويلاً من حفظه ، ولم يكن معه كتاب استصحبه ... وكان صدوقاً ثبتاً أميناً " (ابن عساكر، د.ت). وانظر وتأمل في أقوال المؤرخين " وحديثه عند البُخَارِيِّين " "وسكن بُخَارَى فحصل حديثه عند أهلها " من هذه النصوص نستنتج الدور العلمي للإمام صالح جزرة فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، فقد أقبل عليه طلاب علم الحديث ، يسمعون منه ، ويكتبون عنه ، فكان من أشهرهم: أحمد بن سهل البُخَارِيّ ، وعمرو بن إسحاق بن إبراهيم البُخَارِيّ ، وإبراهيم بن محمد الفقيه البُخَارِيّ ، والهيثم بن كليب الشَّاشِيّ (البغدادي، د.ت)، وغيرهم. ولا غرابة في ذلك ، فقد ذكرت المصادر التاريخية ، أن صالحاً قد انفرد برواية " الزهريات " (البغدادي، د.ت) ⁽²²⁾، كما انفرد بالرواية عن أمير الجرح والتعديل يحيى بن معين. قال ابن كثير: " وله رواية كثيرة عن يحيى بن معين وسؤالات كثيرة " (ابن كثير، البداية والنهاية، د.ت).

يُضَاف إلى جانب التعليم ونشر العلم، التأليف والتصنيف، فقد ساهم الإمام صالح في إثراء المكتبة الإسلامية بمؤلفات مهمة ، منها: كتاب: " تفسير القرآن "، وكتاب: " الجرح والتعديل "، وكتاب: " النوادر " (البغدادي، د.ت)؛ ولكن للأسف لم يصل إلينا شيء من هذه المؤلفات.

صفوة القول: أن الإمام صالح جزرة كان له دورٌ كبيرٌ في إثراء الحركة العلمية - خاصة علم الحديث - بِبِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وذلك عن طريق التحديث، والتأليف. قال الذهبي: " جمع، وصنّف ، وبرع في هذا الشأن " (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت). تُوفِي - رحمه الله تعالى - بِبُخَارَى فِي سنة [293 هـ / 906 م] (السيوطي، د.ت)، قال الذهبي: " ورحلته الدنيا بأسرها ، كتب من مصر إلى سَمَرْقَنْد " (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت).

ومن المحدثين المغمورين: جعفر بن صادق بن الجُنَيْدِ الْقَنْطَرِيّ السَّفِيّ. ولد في قرية رأس القنطرة بالقرب من سَمَرْقَنْد. كان والده أحد المحدثين بِبِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وكانت له رحلة علمية إلى العراق وخراسان (النسفي، القند، د.ت)، وغيرها من أمصار العالم الإسلامي. وقد اهتم بولده فحبب إليه علم الحديث، ورحل في طلبه إلى مرو ونيسابور، ومكة المكرمة؛ وروى عن معظم علماء تلك الأمصار، من أمثال: خلف بن عامر البُخَارِيّ، وأبي عصمة سهل بن

(22) الزهريات : نسبة إلى الإمام محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري [58 - 124 هـ / 678 - 742 م] ، والذي جمعها الإمام محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي [172 - 258 هـ / 788 - 872 م] قال الخطيب البغدادي: " كان أحد الأئمة العراقيين والحفاظ المتقين والثقات المأمونين ، صَنَّف حديث الزهري وحده ، وقدم بغداد ، وجالس شيوخها ، وحدث بها . وكان أحمد بن حنبل يثني عليه وينشر فضله " . وعن أماكن تواجد المخطوط، انظر : د. سزكين : تاريخ التراث العربي، 1/ 261.

المتوكل، وأبي بكر أحمد بن محمد المروزي، وأبي الهيثم المثنى بن محمد الأزدي، وأبي عبد الله أحمد بن خشنام الدندانقاني، وأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وغيرهم. مات جعفر يوم السبت، لعشر بقين من ربيع الأول [315هـ / 927م] (السمعاني، د.ت) (آبادي، د.ت).

فإذا عدنا للحديث عن الخلافة العباسية في بغداد، فإننا نجد الخليفة القاهر بالله «أبو منصور محمد بن المعتضد» [320 - 322هـ / 932 - 934م]، قد تولى الخلافة في سنة (320هـ / 932م)، عقب مقتل «المقتدر». وقد اتصف «القاهر» بالغلظة وقلة الثبوت، وقد أدى سوء سياسته إلى الانقلاب عليه والإطاحة به (ابن الأثير، د.ت) (ابن كثير، البداية والنهاية، د.ت).

وفي تلك الفترة عاش المحدث محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الفضل المكي. أصله من بلاد ما وراء النهر ورحل إلى فارس والعراق والشام حتى استقر في مكة المكرمة. روى عن أبي عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، وأبي عبد الله الحسين بن الحسن المروزي، ومحمد بن علي الصايغ، وسعيد بن عبد الرحمن المخزومي. روى عنه: أبو بكر بن المقرئ، وأبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس المكي العطار، وغيرهما. توفي بعد العصر من يوم السبت ليومين خليا من جمادى الأولى سنة [322هـ / 933م] ودفن يوم الأحد ضحوة بمكة المكرمة (السمعاني، د.ت) (الفاسي، د.ت).

ومنهم: صالح بن محمد بن شاذان النسفي (ابن عساكر، د.ت) (النسفي، القند، د.ت). كانت له رحلة علمية زار خلالها معظم الأمصار الإسلامية، مثل: أصفهان، وخراسان، وبغداد، ودمشق، ومصر، ومكة المكرمة. سمع خلال تلك الرحلة كثيرا من العلماء، من أمثال: أبي جعفر الدمشقي، ومنصور بن إسماعيل الفقيه، وعلي بن عبد العزيز البغوي، ومحمد بن علي الخلال، وغيرهم. كان ثقة في روايته (ابن حبان، د.ت)، دخل مكة وحديث بها بتاريخ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، كما حدث عنه جماعة من أهل خراسان وأهل بلده وبغداد، كان من أشهرهم: أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر، وأبو بكر بن المقرئ، ورحل إليه من الأندلس أصبغ بن قاسم بن أصبغ الأندلسي [ت 363 هـ / 974م] لسمع صحيح البخاري (الذهبي، تاريخ الإسلام، د.ت) (الفرضي، د.ت)، وغيرهم. مات بنسفي في سنة [324هـ / 936م].

ومنهم - كذلك - : عَقِيلُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ إِسْحَاقَ الْفَارِسِيِّ الْقَرْغَانِيِّ. ولد في نسا، ونشأ في قرغانة، ودخل سمرقند (النسفي، القند، د.ت) (العنسي، د.ت)، وورد خراسان، وحج إلى مكة المكرمة في سنة [326هـ / 938م]، وحدث عن أبي الْمُفَضَّلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبَانِيِّ، وَغَيْرِهِ. وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ [327هـ / 939م] (الذهبي، تاريخ الإسلام، د.ت) (الصَّريِّقِيُّ، د.ت).

ومن المحدثين خلال تلك الفترة: سعيد بن إبراهيم بن معقل النسفي. كان أبوه أحد المحدثين الثقات (السمعاني، د.ت) (اليافعي، د.ت)، فاعتنى بتربية ولده، فحفظ القرآن الكريم في صغره، ثم حُبَّ إليه علم الحديث، فروى عن أبيه [ت 295 هـ / 908 م] (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت) (القرشي، د.ت)، وعبد الله بن عبدويه، وأهل بلده وأهل خراسان والعراق، ارتحل في حياة أبيه مع أبي الحسين محمد بن طالب، وأبي يعلى عبد المؤمن بن خلف. وكتب

الحديث بالعراق عن محمد بن يونس الكديمي، وبمكة المكرمة عن علي بن عبد العزيز، ومحمد بن علي بن زيد، وأبي يحيى ابن أبي مغيرة، وغيرهم (ابن حبان، د.ت) (الذهبي، المغني في الضعفاء، د.ت). كان ثقةً جليلاً (البخاري، التاريخ الكبير، د.ت) (ابن أبي حاتم، د.ت)، أفنى عمره في التصدي للقرامطة الروافض، فأصابته محن كثيرة بسبب ذلك حتى نصر الله دينه، وأظهره عليهم بعدما قاسى الحن الكثيرة، وكان ذلك في سنة [333هـ/944م] (السمعاني، د.ت) (ابن حجر، لسان الميزان، د.ت). روى عنه أهل نَسَف وأهل سَمَرْقَنْد وَبُخَارَى (الذهبي، تاريخ الاسلام، د.ت) (النسفي، القند، د.ت)، ومنهم: إسماعيل بن إبراهيم بن خنرة الصنعاني (ابن ماکولا، د.ت)، ومسلم بن بشر بن عروة بن عوجر الأناوي (ابن ماکولا، د.ت) (ابن حجر، تبصير المنتبه، د.ت)، ومُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ النَّسْفِيِّ [ت 389هـ/999م] (الذهبي، تاريخ الاسلام، د.ت)، وآخر من روى عنه أبو الفضل منصور بن نصر السمرقندي [ت 423هـ/1032م]. توفي في سنة [341هـ/952م]، ودفن في نَسَف.

ومنهم: مَسْعُودَةُ بْنُ بَكْرِ بْنِ يُوسُفَ الْفَرَعَانِيَّ. أصله من فَرَعَانَةَ، قدم بَعْدَاد (البغدادى ا.، د.ت) (المسلمي، د.ت) ودخل مكة المكرمة، وحَدَّث عن الحسن بن سفيان النسوي، وغيره. روى عنه أبو الحسن الدارقطني، ويوسف بن عمر القواس، وغيرهم (السمعاني، د.ت) (ابن حجر، لسان الميزان، د.ت). مات بمكة المكرمة في سنة [341هـ/952م]. ومن المحدثين - كذلك -: الْحَسَنُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ الْبُخَارِيِّ. نشأ في أسرة محبة لعلم الحديث، وكان شَيْخًا، صَدُوقًا، نَبِيلًا (الذهبي، تاريخ الاسلام، د.ت). دخل نيسابور ومكة المكرمة، وغيرها من الأمصار الإسلامية. وسَمِعَ خلال تلك الرحلة من مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْفَرَّاءِ، وَأَبَا حَاتِمٍ الرَّازِيِّ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَصَّارِ، وَأَبَا يَحْيَى بْنِ أَبِي مَسْرَةَ، وَيَحْيَى بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَطَبَقَتُهُمْ (ابن البيع، د.ت) (ابن العماد، د.ت). وَرَوَى عَنْهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الْمَرْكِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ، وَأَبْنُ مَنْدَةَ، وَيَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَرْكِيُّ، وَآخَرُونَ (الذهبي، العبر، د.ت) (نايف صلاح، د.ت). قَالَ أَحَدُ الْمُؤَرِّخِينَ: "كَانَ هُوَ وَأَبُوهُ مِنْ ذَوِي الْيَسَارِ وَالثَّرْوَةِ. لَهُ خَطَّةٌ وَمَسْجِدٌ وَبَسَاتِينَ.... فَأَنْفَقَ هَذِهِ الْأَمْوَالَ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ، وَبَقِيَ يَأْوِي إِلَى مَسْجِدٍ" (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت). تُؤَيِّ فِي سَنَةِ [342هـ/954م].

ومن أشهرهم: عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلْفِ بْنِ طَفِيلِ النَّسْفِيِّ. الإمام، الحَافِظُ، الْقُدُّوَّةُ (السيوطي، د.ت) (باجرمه، د.ت)، وُلِدَ ليلة النصف من شعبان سَنَةِ [259هـ/872م] بَنَسَف (الذهبي، تاريخ الاسلام، د.ت) (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت). وكانت له رحلة علمية كبيرة طَوَّف خلالها معظم أمصار العالم الإسلامي، فبدأ بِبِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ (بُخَارَى، سَمَرْقَنْد، تَرْمِذ، كَس، الكشانية، أرنجن، الدبوسية ...)، وغيرها من المدن. ثم عَنَت له الرحلة إلى إقليم خراسان (بلخ، مرو) المتاخم لإقليم بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، ومنها كانت وجهته إلى بلاد العراق (بَعْدَاد، واسط، البصرة)، ثم توجه إلى بلاد الشام، وطَوَّف بين مدنها (دمشق، الموصل، حلب، حمص، الرقة، المصيصة، صور، صيدا، نصيبين، أنطاكية، طرسوس)، وفي فلسطين دخل (الأبله، بيت المقدس، الرملة، بيروت)، كما دخل مصر (دمياط)، ومنها إلى الجزيرة العربية (الحجاز، مكة المكرمة، والمدينة المنورة)، وكانت بلاد اليمن (صنعاء) أقصى ما وصل إليه في رحلته العلمية ثم عاد أدراجه إلى نَسَف (الذهبي، تذكرة الحفاظ، د.ت) (النسفي، القند، د.ت). وقد سمع خلال تلك الرحلة الطويلة كثير من العلماء، من

أشهرهم: جده أبي زيد الطفيل بن زيد، وخاله أبي محمد أحمد بن محمد بن العجنس، ويمين بن عبد الله النَّسْفِيَّ (ابن ماکولا، د.ت)، وعبد الله بن عتاب الزفقي [ت: 320هـ/932م] (ابن عساكر، د.ت)، ومحمد بن العباس بن الوليد الغساني (ابن عساكر، د.ت)، ومحمد بن علي بن خلف الأطروش (ابن عساكر، د.ت)، وغيرهم. حَدَّثَ عَنْهُ: عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْمَيْدَانِيَّ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَمَّارٍ بْنِ عَصَمَةَ، وَمَنْصُورُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الدُّهْلِيِّ، وعبد الله بن أحمد بن الحسن النَّسْفِيَّ [ت: 395هـ/1005م] (ابن نقطة، د.ت)، وغيرهم (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، د.ت) (ابن عساكر، د.ت). ثُوِّفَ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْحَادِي عَشَرَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ فِي سَنَةِ [346هـ/957م] بَنَسَفَ (الصفدي، د.ت).

ومن أشهر المُحَدِّثِينَ الَّذِينَ رَحَلُوا إِلَى مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ الْإِمَامُ؛ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَمَالِ السَّمَرْقَنْدِيِّ (محمد خلف، دراسات في تاريخ بلاد ما وراء النهر، د.ت)، نسبة إلى بيع الجمال [الإبل] التي كان يتاجر فيها (السمعاني، د.ت). خرج يطوف في أنحاء العالم الإسلامي طلباً للحديث، فنزل الشام (البغدادية ١، د.ت) (ابن العماد، د.ت)، ومصر (المقريزي، د.ت)، ومكة المكرمة، واليمن (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت)، وخراسان (المقريزي، د.ت). كان الجمال كثير السفر والارتحال من أجل التجارة وساعده ذلك على كثرة السماع من العلماء، والأخذ عن المُحَدِّثِينَ فسمع بمكة المكرمة من محمد بن علي بن زيد المكي، وعبد الله بن محمد البردي، وغيرهم (ابن عساكر، د.ت). وبعد هذه الرحلة الطويلة عاد أدراجه إلى بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ المقر الأخير للرحلة الطويلة التي قطعها في طلب علم الحديث. وقد سعدت بِبِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ بِقُدُومِهِ إِلَيْهَا، فنجح في تكوين حركة علمية في سَمَرْقَنْدَ، قال الخطيب البَغْدَادِي: "وليس للبَغْدَادِيِّينَ عنه رواية، لأنه خرج عن بَغْدَادٍ قَدِيمًا، وَحَصَلَ حَدِيثُهُ عِنْدَ الْخَرَّاسَانِيِّينَ، وَأَهْلُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ" (البغدادية ١، د.ت). وهذه شهادة لها ثقلها من مؤرخ بَغْدَادٍ، الذي أقر بأن البَغْدَادِيِّينَ ليس لهم رواية عن الجمال، وإنما الوارث الحقيقي لعلمه، هم أهل ما وراء النهر.

على كل حال، نشطت الحركة العلمية في بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ بِقُدُومِ الْجَمَالِ إِلَيْهَا، فرحل إليه طلاب العلم من الآفاق للأخذ عنه، كان من أشهرهم أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وعبد الرحمن بن محمد الإدريسي (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت)، وأبو علي الحافظ النيسابوري (السمعاني، د.ت) (الذهبي، العبر، د.ت)، وغيرهم. وهكذا، صار الجمال علامة بلاد ما وراء النهر، حتى سماه الذهبي: "مسند بُخَارَى" (الذهبي، تذكرة الحفاظ، د.ت). وقال تلميذه الإدريسي - مؤرخ سَمَرْقَنْدَ -: "سكن سَمَرْقَنْدَ، وَحَدَّثَ بِهَا، كَتَبْنَا عَنْهُ. وَكَانَ ثِقَةً فِي الْحَدِيثِ، فَاضِلًا" (البغدادية ١، د.ت). هذه شهادات بعض المؤرخين التي تثبت أنه كان ثقة. ولكن مما يؤسف له، إن الجمال لم يترك لنا مُصَنَّفًا، نقف به على طريقته في التأليف والشرح، ولعله - يرحمه الله تعالى - اكتفى بالتعليم.

صفوة القول: أن أبا جعفر الجمال، قد أثرت الحركة العلمية في بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، لا سيما سَمَرْقَنْدَ، التي اتخذها مقرًا له، عاش في جوانبها، وطاف بين ربوعها، ومات بها ودفن في أرضها في سنة [346هـ/957م].

ومن المُحَدِّثِينَ - كذلك -: عبد المؤمن بن عبد المجيد النَّسْفِيَّ. كان شيخًا، صالحًا، فاضلًا، متقنًا، ثقةً. روى عن محمود بن عنبر النَّسْفِيَّ، وأحمد بن محمد العجنسي، وإبراهيم بن معقل النَّسْفِيَّ؛ وكان من أخص تلاميذه، وكان الشيخ لا يحدث

في مجلسه حتى يحضره ، وكان لا يأكل طعام أحد إلا طعامه. كانت رحلته العلمية إلى مكة المكرمة في سنة [330هـ/942م]. روى عنه أهل نَسَف وأهل سَمَرْقَنْد وكتب عنه الإدريسي، وجعفر بن محمد التوبني، وغيرهما (الذهبي، تاريخ الاسلام، د.ت) (النسفي، القند، د.ت). مات بمكة المكرمة في سنة [363هـ/973م].

ومن الأسر العلمية التي ظهرت في سَمَرْقَنْد ورحل معظم أبنائها إلى مكة المكرمة؛ أسرة علي بن موسى بن جعفر بن حَمُوءِ السَمَرْقَنْدي. كان أبوه موسى بن جعفر من بلاد فارس، وولد علي في الموصل، وسافر إلى سَمَرْقَنْد وسكنها. كان من المحدثين المغمورين، فروى عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم الكَجِّي (البغدادي ١، د.ت) (الذهبي، تذكرة الحفاظ، د.ت) (الزركلي، الأعلام، د.ت) [200 - 292 هـ / 815 - 904 م]. وروى عنه أحمد بن محمد بن الحسن البُخاري. خرج في أواخر حياته إلى مكة المكرمة للمجاورة في بيت الله الحرام ، وظل بها حتى مات في سنة [359هـ/970م] (النسفي، القند، د.ت).

وقد أنجب ولدًا سماه عبد الواحد، سكن - هو الآخر - سَمَرْقَنْد واشتغل بعلم الحديث، ورحل إلى مكة المكرمة، ويبدو أنه كان من المحدثين المغمورين - أيضًا - مثل أبيه. فلم أعر على تاريخ وفاته.

أما من حاز قصب السبق بين أبناء هذه الأسرة، فهو الحفيد: عبد الملك بن عبد الواحد، ولد بسَمَرْقَنْد يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من ربيع الآخر سنة [325هـ/937م]، وقد اعتنى والده بتربيته فحفظ القرآن الكريم في صغره، ثم عنت له الرحلة في طلب علم الحديث فطَوَّف بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ للأخذ عن علمائها، فسمع من مشايخ سَمَرْقَنْد، مثل: أبي عمرو محمد بن إسحاق العصفري، وعيسى بن موسى بن غودم الكشاني، ومحمد بن الحسن بن حمويه الإسترابادي، وذهب إلى بُخَارَى وكتب عن أبي بكر بن خنب البُخاري، وبكشانية عن علي بن محتاج السَمَرْقَنْدي، وغيرهم (ابن حبان، د.ت). ثم كانت رحلته إلى العراق فدخل بَعْدَادَ وسمع بها. ثم كانت له رحلة إلى مكة المكرمة لحج بيت الله الحرام، والأخذ عن علمائها. وقد انتفع عبد الملك بكل ما سمع فكان فاضلاً، حافظاً، متقناً، ثقةً، كتب الكثير، وجمع الشيوخ والأبواب والمقلين، ودون الأقران. قال الإدريسي: "كان من أفاضل أصحابنا الذين كتبوا معنا على مشايخنا بسَمَرْقَنْد، ورحل إلى العراق وكتب بها وكان حريصاً على الجمع والكتابة، وكنا نؤمل أن يكون إماماً كتب عنه أحاديث يسيرة" (ابن النجار، د.ت). مات بعد عودته من مكة المكرمة في شهر صفر سنة [376هـ/986م] ودفن ببَغْدَادَ.

والمحدثين - كذلك - : جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَكِّيِّ بن حجر النقبوني البخاري، ولد في قرية نقبون إحدى بُخَارَى إحدى أقاليم بلاد ما وراء النهر (السمعاني، د.ت) (محمد خلف، بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، د.ت). كانت له رحلة علمية طَوَّفَ فيها معظم أمصار العالم الإسلامي حتى استقر في مَكَّة الْمُكَرَّمَةِ. روى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْذِرِ الْهَرَوِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ حَفْصِ الْبَيْكَنْدِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ مَطَرٍ. روى عَنْهُ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ. وَتُوفِيَ أَوَّلَ شَهْرِ رَمَضَانَ سنة [370هـ/980م] (ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، د.ت) (الفاسي، د.ت).

ومنهم: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مهران بن مسلم البغدادي البخاري. سمع محمد بن محمد الباغدندي، وأبا القاسم البغوي، وأبا بكر بن أبي داود، وأقرانهم من العراقيين (البغدادي ١، د.ت) (ابن الجوزي، المنتظم، د.ت). ورحل إلى الشام، فكتب عن أبي عروبة الحراني، وغيره، وعاد إلى العراق، ثم خرج منها إلى بلاد خراسان، وما وراء النهر،

فكتب عن مُحَدِّثِيهَا، وجمع أحاديث المشايخ والأبواب. وكان مُتَقَنًّا، حافظًا مع ورع وتدين وزهد وتصون (الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ت) (الفاسي، د.ت) وأقام ببغداد بعد عوده من خراسان سنين كثيرة (الذهبي، تذكرة الحفاظ، د.ت) (ابن تغري، د.ت)، فحدث، ثم خرج إلى مكة المكرمة، فأقام بها إلى أن توفي في سنة [375هـ/985م]، ودفن بالبطحاء، بقرب من قبر الفضيل بن عياض (ابن العماد، د.ت) (الذهبي، العبر، د.ت).

أما آخر المُحَدِّثِينَ الذين رحلوا من بلاد ما وراء النهر إلى مكة المكرمة خلال ولاية الأمير نوح بن منصور السَّامَانِيّ، فهو: عَمَّارُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جُبَيْرِ التَّمِيمِيِّ الْبُخَارِيِّ (الذهبي، تاريخ الإسلام، د.ت) (ابن حجر، لسان الميزان، د.ت) (العنسي، د.ت). كانت له رحلة علمية في طلب الحديث زار خلالها معظم الأمصار الإسلامية؛ ومنها: مصر، ومكة المكرمة، والشام، ودمشق، والجزيرة، وخراسان، وما وراء النهر [إِسْفِيْجَاب، وَفَرْعَانَّة، وَتَمْرَقَنْد، وَنَسَف]، وغيرها (ابن عساكر، د.ت) (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، د.ت). روى خلال تلك الرحلة الطويلة عن كثير من الأعلام، من أمثال: يحيى بن محمد بن صاعد، أبي يعلى عبد المؤمن بن خلف النَّسَفِيِّ، ومُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفِ الْهَرَوِيِّ، ومحمود بن عنبّر النَّسَفِيِّ، ومحمد بن زكريا بن الحسين النَّسَفِيِّ، وغيرهم (البغدادى، د.ت) (النسفي، القند، د.ت). روى عنه: الحاكم النيسابوري، وأَبُو سَهْلٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَبْيُودِيّ، وَعَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ مُحَمَّدٍ اللَّحْيَانِيّ، وآخر مَن حَدَّثَ عَنْهُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّيْبَرِيّ. كان ثقة في روايته، مات بِبُخَارَى يوم الثلاثاء الحادي عشر من صفر سنة [387هـ/997م] (الذهبي، العبر، د.ت) (ابن العماد، د.ت).

المُحَدِّثُونَ المغمورون:

هذا، وقد رحل إلى مكة المكرمة اثنين من المُحَدِّثِينَ المغمورين، لم أعر على تاريخ وفاتهم: **أولهما:** عثمان بن إبراهيم السَّمَرَقَنْدِيّ. ولد في سَمَرَقَنْد وكتب بها عن صالح جزرة. ثم رحل إلى مكة المكرمة وحَدَّثَ بها. روى عنه إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّبَرِيّ، ومحمد بن الضوء الكرميني، وعبدوس النيسابوري (النسفي، القند، د.ت). **ثانيهما:** محمد بن عيسى السَّمَرَقَنْدِيّ. رحل من سَمَرَقَنْد إلى مكة المكرمة وسكنها مدة، ثم رحل إلى مصر، وسمع بها علي بن أحمد علان، وغيره. قال المقرئزي: "كان حافظًا فهمًا بالحديث، جماعًا للعلم... ثقة" (المقرئزي، د.ت).

نتائج البحث

1) كشف البحث عن تقدم بلاد ما وراء النهر في استخدام وسائل النقل المختلفة، وأن ازدهار الرحلة العلمية يرجع إلى وجود شبكة من الطرق البرية، التي ربطت بين بلاد ما وراء النهر وسائر أقاليم العالم الإسلامي ويأتي في مقدمتها مَكَّة الْمُكَرَّمَة. بالإضافة إلى إقامة كثير من المنشآت التجارية المهمة؛ مثل: القياسر، والخانات، والفنادق، والتي كانت تعمل على راحة المسافرين من التجار وطلاب العلم.

2) أن الرحلة العلمية للمُحَدِّثِينَ من بلاد ما وراء النهر إلى مَكَّة الْمُكَرَّمَة كانت تتماشى مع الحركة العلمية التي شهدتها باقي الأمصار الإسلاميَّة الأخرى. فكانت البداية المتواضعة على يد المُحَدِّثِ ابن سَلَامِ الْبَيْكَنْدِيّ [ت: 225هـ/839م]، ثم انتقلت إلى مرحلة الازدهار والنضج على يد الإمام محمد بن إسماعيل الْبُخَارِيِّ [ت: 256هـ/870م]

[، ثم كانت مرحلة التقليد على يد مجموعة من المحدثين المغمورين، الذين لم تحفظ لنا المصادر التاريخية سوى أسمائهم وتاريخ وفاتهم.

(3) أوضح البحث أن عدد المحدثين الذين رحلوا من بلاد ما وراء النهر إلى مكة المكرمة لطلب العلم - خلال فترة البحث - قد بلغ نحو ثلاثين محدثًا، وهو عدد ضخم يفوق عدد المحدثين الذين ظهروا في باقي الأمصار الإسلامية خلال تلك الفترة، مما يؤكد لنا في وضوح أن الحرم المكي قامت فيه حركة علمية قلما توجد في باقي مدن العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه.

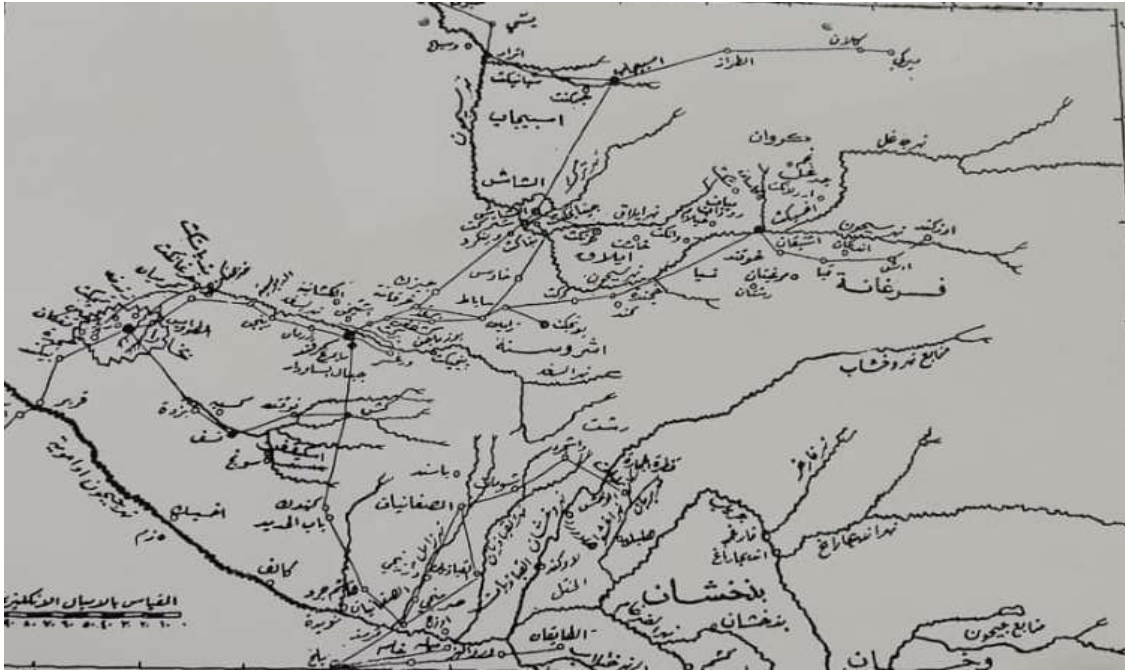
(4) أثبت البحث أن البيت الحرام كان مأوى لطلاب علم الحديث من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فقلما تجد بلدًا من بلدان المسلمين إلا وقد شارك أحد طلابه في الرحلة والمجاورة في البيت العتيق. ويأتي في مقدمة تلك البلدان، بلاد ما وراء النهر، وأن هؤلاء العلماء لم يكونوا من مدينة واحدة، بل كانوا من معظم مدن الإقليم؛ بخارى، ونسف، وفرغانة، والشاش، وسمرقند، وخوارزم، وبكند؛ وإن حصلت الأخيرة على المركز الأول من بين تلك المدن.

(5) أثبت البحث أن المحدثين الذين رحلوا من بلاد ما وراء النهر إلى مكة المكرمة كان لهم فضل التصنيف والتأليف والتدوين للسنة المطهرة، فإلى جانب التدريس ونشر العلم في حلقات الحديث، ظهرت - أيضًا - كثير من المصنفات الحديثية التي ما زال طلاب علم الحديث خاصة، وطلاب العلم عامة ينهلون منها.

(6) أثبت البحث أن لمكة المكرمة دور فعال ومؤثر في تقدم وازدهار الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر الإسلامية، فقد عاد هؤلاء الأعلام إلى بلادهم، حاملين معهم العلم النافع الذي أخذوه وتعلموه من المحدثين المكيين، فجلس كل منهم في المسجد الجامع في بلده يعلم الناس أمور دينهم وينشر العلم الصحيح بينهم، مما كان له أكبر الأثر في نشر الإسلام في تلك المناطق، بل واصل الإسلام انتشاره إلى حدود الإمبراطورية الصينية شرقًا والسهوب الروسية شمالًا.

الملاحق

ملحق رقم(1): خريطة بلاد ما وراء النهر



نقلاً عن كتاب : بلدان الخلافة الشرقية، للمستشرق كي لسترنج

ملحق رقم(2)

خريطة توضح رحلة الإمام البخاري في طلب العلم



نقلاً عن كتاب: أطلس السيرة النبوية، للدكتور شوقي أبو خليل.

ملحق رقم (3)

قائمة بأسماء المُحدِّثين الذين ورد ذكرهم في البحث مرتبة على حروف المعجم

م	اسم المُحدِّث	سنة الوفاة
1.	إسماعيل بن حمدويه البَيْكَنْدِيّ الْبُخَارِيّ.	273 هـ/ 886م
2.	جعفر بن صادق بن الجَنْدِ الْقَنْطَرِيّ النَّسَفِيّ.	315 هـ/ 927م
3.	جعفر بن مُحَمَّد بن الْمَكِّي بن حجر النقبوني البخاري.	370 هـ/ 980م
4.	الحسن بن يَعْقُوب بن يُوْسُف الْبُخَارِيّ.	342 هـ/ 954م
5.	الحكم بن محمد الطبري البخاري.	213 هـ/ 828م
6.	سعيد بن إبراهيم بن معقل النَّسَفِيّ.	341 هـ/ 952م
7.	صالح بن سالم السَّمَرْقَنْدِيّ.	233 هـ/ 847م
8.	صالح بن عبد الله الرَّزْمِيّ.	231 هـ/ 845م
9.	صالح بن محمد بن شاذان النَّسَفِيّ .	324 هـ/ 936م
10.	صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب الأسدي الْبُخَارِيّ.	293 هـ/ 906م
11.	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مهران البغدادي البخاري.	375 هـ/ 985م
12.	عبد الملك بن عبد الواحد بن علي بن موسى مُحَمَّدِيّ السَّمَرْقَنْدِيّ.	376 هـ/ 986م
13.	عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بنُ خَلْفِ بن طفيل النَّسَفِيّ.	346 هـ/ 957م
14.	عبد المؤمن بن عبد المجيد النَّسَفِيّ.	363 هـ/ 973م
15.	عبد الواحد بن علي بن موسى بن جعفر بن مُحَمَّدِيّ السَّمَرْقَنْدِيّ.	لم أَعثر عليه
16.	عثمان بن إبراهيم السَّمَرْقَنْدِيّ.	لم أَعثر عليه
17.	عُزَيْر بن الْأَحْنَف بن الفضل الْبُخَارِيّ.	288 هـ/ 900م
18.	عَقِيلُ بنُ الْحَسَنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيّ بنِ إِسْحَاق الْقَرْغَانِيّ.	327 هـ/ 939م
19.	عَلِيّ بنِ حَكِيم السَّمَرْقَنْدِيّ.	235 هـ/ 849م
20.	علي بن موسى بن جعفر بن مُحَمَّدِيّ السَّمَرْقَنْدِيّ.	359 هـ/ 970م
21.	عَمَّارُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ جُبَيْر التميمي الْبُخَارِيّ.	387 هـ/ 997م
22.	محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الفضل المكي.	322 هـ/ 933م
23.	محمد بن إِسْحَاق الْبَيْكَنْدِيّ البخاري.	262 هـ/ 875م
24.	محمد بن إِسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي الْبُخَارِيّ.	256 هـ/ 870م
25.	مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ بنِ يُوْسُفَ السُّلَمِيّ الرَّزْمِيّ.	280 هـ/ 894م
26.	محمد بن سَلَام الْبَيْكَنْدِيّ الْبُخَارِيّ.	225 هـ/ 839م
27.	محمد بن عيسى السَّمَرْقَنْدِيّ.	لم أَعثر عليه
28.	محمد بن محمد بن عبد الله الجمال السَّمَرْقَنْدِيّ.	346 هـ/ 957م
29.	محمد بن مقاتل الكسائي المروزي.	226 هـ/ 840م
30.	مُسْعَدَةُ بنُ بَكْرِ بنِ يُوْسُفَ الْقَرْغَانِيّ.	341 هـ/ 952م